الأعمال اليدوية في الأديرة المصرية في العصر البيزنطي، اكتفاء ذاتي وبُعد روحاني: دراسة تاريخية

د. نها عوض محمود العجمي

كلية التربية، جامعة المنصورة، مصر

noha79@mans.edu.eg

الملخص:

شكّل العمل اليدوي عنصراً أساسياً في الحياة الرهبانية داخل الأديرة المصرية خلال العصر البيزنطي، حيث شهد تحولاً ملحوظاً من مجرد نشاط معيشي إلى ممارسة روحية تهدف إلى التقرب إلى الله وغرس قيم التواضع والانضباط والتأمل وخدمة الآخرين. ومن خلال دمج العمل بالعبادة، استطاعت الأديرة تحقيق توازن دقيق بين الجوانب الجسدية والروحية، حيث أصبح العمل اليدوي جزءًا من الطقوس اليومية التي تعزز الحياة النسكية وتساعد في الالتزام بالمبادئ الرهبانية. لذلك انخرط الرهبان في أنشطة متنوعة شملت الزراعة، والحصاد، والصناعات الحرفية، مما مكّنهم من تأمين متطلباتهم الخاصة، وتقديم الدعم لزوار الأديرة، والمساهمة في الأعمال الخيرية في البيئة المحيطة. وتهدف هذه الدراسة إلى دراسة طبيعة العمل اليدوي في الأديرة المصرية خلال العصر البيزنطي، باعتباره ركيزة أساسية في الحياة الديرانية. وتتناول الدراسة البعد التاريخي للعمل اليدوي، مسلطة الضوء على دوره في تحقيق الاكتفاء الذاتي للأديرة، وضبط الحياة المجتمعية داخلها. كما تسعى إلى تحليل الدور الذي لعبته الحرفة اليدوية في صياغة التجربة الروحية للرهبان، من خلال استكشاف تأثيرها على تنظيم حياتهم اليومية وتعزيز قيم الانضباط والزهد. وتتناول الدراسة أيضًا كيفية تفاعل الأديرة مع المجتمعات المحيطة من خلال العمل اليدوي، إذ قامت الأديرة بتقديم الدعم المادي للمحتاجين من خلال توفير الغذاء والمنتجات اليدوية، مما أسهم في تعزيز التكافل الاجتماعي. وتستعرض أيضًا أنواع الحرف اليدوية داخل الأديرة، مثل صناعة السلال والحصر والحبال، والنسيج، والأعمال الزراعية، وغيرها، حيث تحقق التوازن بين العبادة والعمل، إضافة إلى الاستقلال الاقتصادي لها.

الكلمات المفتاحية: الرهبنة، الحياة الروحية، الحرف اليدوية، الأديرة، مصر البيزنطية.

Abstract:

Manual Labor in Egyptian Monasteries in the Byzantine Era, Self-Sufficiency and Spiritual Dimension: A Historical Study

Dr. Noha Awad Mahmoud Al-Agamy

Faculty of Education, Mansoura University, Egypt

noha79@mans.edu.eg

Manual labor was a fundamental element of monastic life in Egyptian monasteries during the Byzantine period. Over time, it evolved from being merely a means of subsistence into a spiritual practice aimed at drawing closer to God and instilling values of humility, discipline, contemplation, and service to others. By integrating labor with worship, monasteries managed to strike a delicate balance between physical and spiritual aspects of life, making manual labor an essential part of daily rituals that reinforced ascetic practices and adherence to monastic principles. Monks engaged in various activities, including agriculture, harvesting, and artisanal crafts, which enabled them to meet their own needs, assist monastery visitors, and contribute to charitable endeavors in the surrounding communities. This study explores the nature of manual labor in Egyptian monasteries during the Byzantine era as a cornerstone of monastic life.

It examines the historical significance of labor, highlighting its role in achieving self-sufficiency and regulating communal life within monasteries. Additionally, it analyzes how craftsmanship shaped monks' spiritual experience by influencing their daily routines and fostering values of discipline and asceticism. Furthermore, the study investigates how monasteries interacted with their surrounding societies through manual labor, providing material support to the needy by supplying food and handmade products, thus promoting social solidarity. It also reviews the various crafts practiced by monks, such as basket weaving, mat and rope making, textile production, and agricultural work. These crafts achieved a balance between worship and work and ensured economic independence.

Keywords: Monasticism, Manual Labor, spiritual life, Handicrafts, Monastic Life, Byzantine Egypt.

مقدمة:

تأتي هذه الدراسة لتلقي المزيد من الضوء على الدور الذي لعبه العمل اليدوي في الحياة اليومية للرهبان داخل الأديرة المصرية خلال العصر البيزنطي. وفي الوقت نفسه تجيب على عديد من التساؤلات التي تدور حول هذا الموضوع، ومنها: كيف ارتبط العمل اليدوي بالبعد الروحي والنسكي في الفكر الرهباني؟ وكيف أسهم في تعزيز قيم مثل التواضع، والانضباط، والزهد، وفي تعزيز التكافل الاجتماعي من خلال أعمال الصدقات؟ وما هي الأنشطة اليدوية التي مارسها الرهبان؟ وكيف ساهمت في تحقيق الاكتفاء الذاتي داخل الأديرة؟ وإلى أي مدى عكست الصناعات الحرفية داخل الأديرة تنظيمًا إداريًا واقتصاديًا ممنهجًا؟ وقد اعتمدت الدراسة على تحليل دقيق لمجموعة من المصادر والدراسات التاريخية التي تناولت الحياة الرهبانية في مصر البيزنطية، والتي وردت فيها إشارات متفرقة إلى العمل اليدوي ضمن سياقات مختلفة، مثل التنظيم الداخلي للأديرة، وسير القديسين، وتعاليم آباء الرهبنة. ورغم أهمية تلك الإشارات، إلا أنها غالبًا ما جاءت متناثرة وغير مركّزة، فلا توجد دراسة مستقلة تتناول هذا الجانب بعمق. وفي هذا السياق، تأتي الدراسة الحالية لتملأ فجوة معرفية، حيث سعت إلى إعادة قراءة تلك الإشارات وتقديم رؤية تحليلية متكاملة لطبيعة العمل اليدوي داخل الأديرة المصرية، وأبعاده الدينية والاقتصادية والاجتماعية. مما يثري فهمنا الشامل لهذه المرحلة التاريخية.

لقد ارتبط تأسيس الأديرة في مصر في العصر البيزنطى ارتباطًا وثيقًا بظهور وتطور الرهبنة المنظمة، التي مثّلت حجر الأساس لظهور الحياة الديرية المنظمة، لم يكن هذا التطور وليد لحظة زمنية محددة، بل جاء نتيجة لتطور متسلسل ومستمر. مرت الرهبنة المصرية بثلاث مراحل رئيسية، هي: الرهبنة التوحدية، والرهبنة شبه التوحدية، والرهبنة الجماعية أو الشركة. كان يكمل إحداها الأخرى، ولم يكن يفصل بين كل منها مساحة زمنية بعيدة، وهذه المراحل الثلاث نبتت على الأرض المصرية وانتقلت منها إلى المناطق الأخرى من الأمبراطورية[1].

---

[1] رأفت عبد الحميد، الفكر المصري في العصر المسيحي، الهيئة المصـــريـــة العامة للكتاب، 1999م، ص 274؛ رأفت عبد الحميد، طارق منصور، مصر في العصر البيزنطي 284– 641م، القاهرة: دار مصر العربية، ط 3، 2003م، ص 216؛ ملاك فكري توفيق يوسف، النشاط الاقتصادي للكنائس والأديرة في مصر في العصر الروماني المتأخر، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بنها، 2012م، ص 15 – 30؛ ولاء مختار عبدالعزيز، رهبنة العذارى في مصر: نسك ورهبنة العذارى في مصر حتى القرن السابع الميلادي، مراجعة صموئيل قزمان معوض، مدرسة الإسكندرية، ط1، 2022م، ص 15 – 30.

نشأت الرهبنة التوحدية أو الرهبنة الأنطوانية كأقدم مراحل الرهبنة، وسُميت بهذا الاسم نسبة إلى القديس أنطونيوس Anthony the Great (251 – 356م)، الذي عُرف بلقب "أب الرهبان" و"كوكب البرية". الذي يعتبر المؤسس الحقيقي لنظم الرهبنة، والأب الروحي للرهبان السائرين في طريق الزهد والتقشف في البرية. اتسمت هذه المرحلة بالعزلة الكاملة والتقشف الشديد، كان الراهب يعيش متوحداً متفرغاً للعبادة، بعيدًا عن صخب وضوضاء العالم. في هذا النظام، كان الراهب يعيش بمفرده في البرية بعيدًا عن المجتمع، ويعمل بيديه لتلبية احتياجاته اليومية، مثل العمل في الزراعة التي كانت ضرورية للبقاء، وصنع أدوات بسيطة. كانت هذه الأنشطة تعتبر وسائل للبقاء على قيد الحياة. كما كان يُنظر إلى العمل اليدوي كوسيلة لتقوية الروح وتجنب الانغماس في الأفكار الدنيوية. مع مرور الوقت، تطور العمل اليدوي ليشمل جوانب روحية، مثل الصلاة والتأمل، مما جعله يعكس الانضباط الذاتي والاعتماد على النفس. فكان الراهب يرى في عمله اليدوي فرصة للتأمل الروحي، مما ساعده على تهذيب نفسه والابتعاد عن الانشغال برغبات العالم الخارجي[1]. ومن أشهر النساك الذين تبنوا هذا النمط كان الأنبا[2] بولا، أول السواح، الذي عاش94 عاماً في عزلة تامة داخل جبال العربة قرب البحر الأحمر. ورغم طبيعة أنطونيوس التوحدية، إلا أنه اجتذب أعداداً كبيرة من التلاميذ الذين تجمعوا حوله، مما جعله أول من وضع أسس تنظيم الحياة الرهبانية، وهو ما مهد لاحقاً لتطور الرهبنة من النمط الفردي إلى نمط أكثر تنظيماً وجماعية[3].

---

[1] Rousseau, P., *Pachomius: The Making of a Community in Fourth-Century Egypt*. University of California Press, Berkeley, 1999, pp. 57 – 87.

فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع) أي قصص وتوجيهات آباء البراري القديسين محققة من مصادرها الأصلية، إعداد رهبان بيرية شيهيت، جـــ 2، ط 1، 2007م، ص 45 – 55؛ حكيم أمين، دراسات فى تاريخ الرهبنة والديرية المصرية – مع دراسة مقارنة لرهبنة وادي النطرون حتى الفتح العربي، القاهرة، 1963م، ص 104؛ متى المسكين، الرهبنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار، دار القديس أنبا مقار، وادي النطرون، ط 3، 1995م، ص 316؛ رؤوف حبيب، تاريخ الرهبنة والديرية فى مصر وآثارهما الإنسانية على العالم، مكتبة المحبة القبطية الارثوذكسية، 2000م، ص 45 – 46.

[2] كلمة (الأنبا) هي لقب احترام وتبجيل يُطلق على الرهبان والأساقفة والقديسين في الكنائس المسيحية الشرقية، وخاصة الكنيسة القبطية الأرثوذكسية. وهي تعني بالعربية الأب. انظر: أحمد عيسى، ألقاب ووظائف الأقباط فى مصر الإسلامية، العدد السابع، مجلة كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادى، ١٩٩٧م.

[3] Goswami, A., "Hermit to Cenobitic: A Study of Early Christian Monasticism", *Proceedings of the Indian History Congress* 66, 2006, pp. 1329-1335; González, J., *Story of Christianity*, Volume 1: *The Early Church to the Reformation*. Harper One, 2010, pp. 265-272; Rousseau, P., *Pachomius: The Making of a Community in Fourth-Century Egypt*, pp. 57 – 87.

فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع) أي قصص وتوجيهات آباء البراري القديسين محققة من مصادرها الأصلية، إعداد رهبان بيرية شيهيت، جـــ 1، ط 2، 2006م، ص 50 – 90؛ متى المسكين، الرهبنة القبطية،

عُرفت المرحلة الثانية من تطور الرهبنة باسم "الرهبنة شبه التوحدية" أو "التوحد الجماعي" Coenobion، وفيها بدأ الرهبان في العيش في تجمعات صغيرة بالقرب من بعضهم البعض. وكانت مرحلة انتقالية بين الرهبنة الفردية الصارمة التي أسسها القديس أنطونيوس، والرهبنة الجماعية المنظمة التي تطورت لاحقًا. نشأت هذه الرهبنة في مناطق مثل نتريا Nitria، طيبة Thebes، وأخميم Akhmim، وكان من أبرز قادتها الأنبا مقاريوس Saint Macarius the Great[1]. لم يكن الرهبان في هذا النمط، يعيشون في عزلة تامة، بل استقروا في قلالٍ منفصلة بالقرب من بعضهم البعض، مع الاجتماع أسبوعيًا للصلاة وتناول الأسرار المقدسة. ومع هذا الانتقال إلى نمط الحياة الجماعية، زاد الاعتماد على العمل اليدوي، الذي أصبح جزءًا أساسياً من التنظيم اليومي. ومع ذلك، لم تدم هذه المرحلة طويلاً بسبب صعوبة الحياة الفردية فيها، وغياب التعاون بين الرهبان، مما أدى إلى تطور شكل أكثر تنظيمًا من الحياة الرهبانية لاحقاً[2].

شكلت رهبنة الشركة Cenobitic Monasticism حلقة وصل بين الحياة المجتمعية والتوحد المطلق، حيث بدأت بالانتشار بشكل واسع في أواخر القرن الرابع الميلادي. كانت

ص 52 – 53؛ رأفت عبد الحميد، الفكر المصري في العصر المسيحي، ص 274؛ رأفت عبد الحميد، طارق منصور، مصر في العصر البيزنطي، ص 138؛ ايريس حبيب المصرى، قصة الكنيسة القبطية، ج1، مكتبة كنيسة مارجرجس بأسبورتنج بالاسكندرية، 2003م، ص ص 438 – 442؛ ملاك فكري توفيق يوسف، النشاط الاقتصادي للكنائس والأديرة، ص 15 – 30؛ ولاء مختار عبدالعزيز، رهبنة العذارى في مصر، ص 31 – 39.

[1] وُلد القديس مقاريوس الكبير حوالي عام 300 م في قرية بتنابور Petenbour قرب وادي النطرون لعائلة فقيرة صودرت ممتلكاتها. نشأ محبًا للكتاب المقدس حتى أصبح قارئاً في الكنيسة، مما ساعد على تعميق إيمانه. امتثل لرغبة أسرته في الزواج، لكنه اتفق مع زوجته على حياة البتولية. كان يعتمد في معيشته على مرافقة القوافل لجلب النطرون من الوادي. بعد وفاة زوجته نتيجة الحمى، وزع ممتلكاته على الفقراء، ثم اختار حياة الوحدة بالقرب من قريته. واجه اتهاماً كاذباً من امرأة ادعت مراودته لها، مما جعله يعاني من اضطهاد أهل القرية. ومع ولادة الطفل، اعترفت المرأة ببراءة مكاريوس، فأعاد له أهل القرية احترامه وتقديره. قرر بعدها الابتعاد إلى صحراء وادي النطرون، حيث انطلقت على يديه حركة رهبانية مستوحاة من القديس أنطونيوس الكبير، وأصبح وادي النطرون مركزاً للرهبنة القبطية. انظر:

Meinardus, Otto F. A., *Monks and Monasteries of the Egyptian Deserts*. Cairo, American University in Cairo Press, 1999, pp. 72-73.

[2] Rousseau, *Pachomius: The Making of a Community in Fourth-Century Egypt*, pp. 57 – 87.

فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 1، ص 50 – 90؛ متى المسكين، الرهبنة القبطية، ص 52 – 53؛ رأفت عبد الحميد، الفكر المصري في العصر المسيحي، ص 274؛ رأفت عبد الحميد، طارق منصور، مصر في العصر البيزنطي، ص 218؛ ملاك فكري توفيق يوسف، النشاط الاقتصادي للكنائس والأديرة، ص 15 – 30؛ ولاء مختار عبدالعزيز، رهبنة العذارى في مصر، ص 31 – 39.

رهبنة الشركة أول تجربة جماعية حقيقية في الحياة الرهبانية، حيث تم تنظيم الرهبان في مجموعات، وعاشوا معًا في أديرة منظمة وفقاً لقوانين صارمة وضوابط محددة، ولم يعودوا يعيشون في عزلة فردية كما كان الحال في الرهبنة التوحدية. ويعود الفضل في تأسيس هذا النمط إلى الأنبا باخوميوس Pachomius (290 – 346م)[1]، الذي أنشأ أول دير منظم في طبانيس Tabennisi عام 321م، بالقرب من دندرة Dendera، وظل رئيساً له لمدة عشرين عاماً. ويُعتبر هذا الحدث البداية الحقيقية لأول دير منظم في المسيحية [2]. وقد استفاد الأنبا باخوميوس من خبرته العسكرية في وضع قوانين صارمة لإدارة الأديرة، حيث قام بتنظيم الحياة الرهبانية على أسس جماعية، مما جعل رهبنة الشركة أول نظام رهباني جماعي منظم في تاريخ المسيحية[3]. وفيه استحدثت وظائف وحرف لتنظيم الحياة الديرية التي بدأت في القرن الرابع الميلادي. وفي هذا النظام، أصبح العمل اليدوي جزءًا من النظام الجماعي، وكان كل فرد يعمل في الحرفة التي كان يتقنها قبل دخوله الرهبنة[4].

مع تصاعد الحركة الرهبانية في مصر خلال العصر البيزنطي، انتشرت الصوامع والأديرة في أعماق الصحراء، حيث امتلأت بالرهبان الذين تنوعت أساليب حياتهم بين التوحد

---

[1] وُلد باخوميوس في صعيد مصر من والدين وثنيين حوالي عام 292 ميلاديًا. في شبابه، انضم إلى الجيش الروماني، وخلال فترة خدمته، تأثر بكرم ولطف المسيحيين المحليين، مما دفعه إلى اعتناق المسيحية حوالي عام 314 م. وتتلمذ على يد القديس بلامون. وقد أسس نوع جديد من الحياة الرهبانية، حياة الشركة أو الجماعة، حيث يعيش الرهبان معًا في دير واحد تحت نظام وقانون مشترك. وكان هذا النظام يشبه إلى حد كبير التشكيلات العسكرية من حيث النظام والانضباط. لمزيد من التفاصيل انظر:

Rousseau, *Pachomius: The Making of a Community in Fourth-Century Egypt*, pp. 57 – 87.

فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 2، ص 3 – 211؛ جون لوريمر، تاريخ الكنيسة، ترجمة فهيم عزيز، ج 2، دار الثقافة، القاهرة، 1985، ص 148؛ منير شكري، الرهبنة القبطية وآبائها، ضمن قراءات في تاريخ الكنيسة، رسالة مارمينا الرابعة عشرة، الإسكندرية، 1993م، ص 381 – 391.

[2] Rousseau, *Pachomius: The Making of a Community in Fourth-Century Egypt*, pp. 57 – 87.

فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 2، ص 189 – 194؛ رأفت عبد الحميد، طارق منصور، مصر في العصر البيزنطي، ص 219؛ ملاك فكري توفيق يوسف، النشاط الاقتصادي للكنائس والأديرة، ص 15 – 30؛ ولاء مختار عبدالعزيز، رهبنة العذارى في مصر، ص 31 – 39.

[3] Rousseau, *Pachomius: The Making of a Community in Fourth-Century Egypt*, pp. 57 – 87; Harmless, W., *Desert Christians. An Introduction to the Literature of Early Monasticism*, Oxford, Oxford University Press, 2004, pp. 123, 143.

فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 2، ص 189 – 194.

[4] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 2، ص 45 – 55؛ رؤوف حبيب، تاريخ الرهبنة والديرية فى مصر، ص 45 – 46.

الكامل، أو العيش في تجمعات شبه توحدية، وصولًا إلى رهبنة الشركة. وقد تركزت هذه الجماعات في ثلاث مناطق رئيسية، هي وادي النطرون Wadi El-Natrun، البهنسا Oxyrhynchus، وطابنا Tabennesi قرب أخميم حيث شيد الرهبان أديرتهم بعيداً عن التجمعات السكانية[1].

يُعد القرن الرابع الميلادي الفترة الأكثر ازدهاراً للحركة الرهبانية، حيث بدأت الرهبنة تأخذ طابعًا مؤسسياً منظماً، خاصة بعد اعتراف الإمبراطورية الرومانية بالمسيحية كديانة رسمية. خلال هذه الحقبة، انتشرت الأديرة في مصر السفلى، وأصبحت الصحاري المصرية تزخر بالرهبان، مما جعلها واحدة من أهم مراكز الحياة الرهبانية[2].

برزت برية شيهيت Scetis في وادي النطرون كأحد أهم المراكز الرهبانية في العالم المسيحي، حيث استقطبت أعدادًا كبيرة من الرهبان الباحثين عن الزهد والتفرغ للعبادة. كما شهدت مدينة البهنسا خلال القرن الخامس الميلادي نهضة رهبانية كبرى، حيث احتوت على 12 كنيسة، وما يقرب من 10000 راهب و12000 راهبة. إلى جانب انتشار الأديرة، لجأ بعض الرهبان إلى الاستقرار في المقابر والمعابد المهجورة على ضفاف نهر النيل في الأقصر Luxor، مما يعكس مدى توسع الحركة الرهبانية وعمق تأثيرها خلال هذه الفترة[3]. لم تعد الرهبنة المصرية مع حلول القرن الخامس الميلادي مقتصرة على المصريين فقط، بل أصبحت مركز جذب للرهبان من مختلف الجنسيات، مما عزز مكانتها كأحد أهم النماذج الرهبانية في العالم المسيحي. فقد ضم دير السريان Monastery of the Syrians رهبانًا مصريين وسوريين، كما احتوى دير البراموس Monastery of Baramus على رهبان مصريين ورومان، مما يعكس مدى التنوع الثقافي والتأثير الواسع للرهبنة المصرية[4]. لكن

---

[1] Rousseau, *Pachomius: The Making of a Community in Fourth-Century Egypt*, pp. 57 – 87.

رأفت عبد الحميد، الفكر المصري في العصر المسيحي، ص 274؛ رأفت عبد الحميد، طارق منصور، مصر في العصر البيزنطي، ص 220؛ ملاك فكري توفيق يوسف، النشاط الاقتصادي للكنائس والأديرة، ص 15 – 30؛ ولاء مختار عبدالعزيز، رهبنة العذارى في مصر، ص 31 – 39.

[2] ملاك فكري توفيق يوسف، النشاط الاقتصادي للكنائس والأديرة، ص 15 – 30؛ ولاء مختار عبدالعزيز، رهبنة العذارى في مصر، ص 31 – 39.

[3] ملاك فكري توفيق يوسف، النشاط الاقتصادي للكنائس والأديرة، ص 15 – 30؛ ولاء مختار عبدالعزيز، رهبنة العذارى في مصر، ص 31 – 39.

[4] رأفت عبد الحميد، طارق منصور، مصر في العصر البيزنطي، ص 210؛ ملاك فكري توفيق يوسف، النشاط الاقتصادي للكنائس والأديرة، ص 15 – 30؛ ولاء مختار عبدالعزيز، رهبنة العذارى في مصر، ص 31 – 39.

الأنبا شنودة Saint Shenouda لم يسمح لأي أجنبي بالانضمام إلى أديرته، التي كانت تتمتع بطابع قبطي أصيل، كان الرهبان في تلك الأديرة متمسكين بلغتهم القبطية بشكل شديد، مما جعلها جزءًا أساسيًا من حياتهم اليومية والروحية. وقد كانت كتابات القديس الأنبا شنودة جميعها باللغة القبطية الصعيدية، وهو ما يبرز حرصه على الحفاظ على هذه اللغة التقليدية وتوثيقها كأداة رئيسية في العبادة والتعليم داخل الأديرة[1].

لقد تعددت الأسباب التي أدت إلى ضرورة العمل اليدوي في حياة الرهبان في الأديرة المصرية. فمع تطور النظام الرهباني، لم يعد العمل اليدوي مجرد وسيلة لتلبية احتياجات الرهبان المادية، بل أصبح يُنظر إليه كأداة للتهذيب الروحاني. فأصبح جزءًا من نظام الحياة الرهبانية المعتمد على الزهد والاعتماد على الذات. وعُدّ وسيلة لتحقيق التواضع وخدمة الآخرين. فلم يعد دور الرهبان في الأديرة مقتصرًا على الصلاة والتأمل، بل شمل العمل اليدوي كجزء أصيل من روتينهم اليومي. وهكذا، لم تكن الرهبنة تجربة دينية فحسب، بل كانت نمط حياة شامل يدمج العبادة والإنتاج العملي، مما جعل العمل اليدوي ضرورة لاستدامة الحياة داخل الأديرة. ففي رهبنة الشركة، كما في أديرة باخوميوس، كانت القوانين الرهبانية تؤكد على ضرورة الحفاظ على التوازن بين العمل الروحي والعمل الجسدي. حيث كان يُعد وسيلة لتقوية الروح، وتعزيز الانضباط الذاتي. فكان يُنظر إلى العمل اليدوي كوسيلة لشغل اوقات الرهبان وللمساعدة على تجنب الكسل والفراغ الذهني، الذي قد يؤدي إلى الانغماس في الرغبات الدنيوية، بما يعود عليهم بالنفع الروحي والمادي[2]. إضافة إلى ذلك، كان يُنظر إلى العمل اليدوي كأداة لتحقيق أعمال البر والإحسان، فقد ساعد الرهبان في تقديم الصدقات والمساعدات للمحتاجين والفقراء من فائض انتاجهم[3]. بشكل عام، كان يُنظر إلى العمل اليدوي في السياق الرهباني على أنه وسيلة للنمو الروحي والاكتفاء الذاتي وخدمة المجتمع، وليس كوسيلة لجمع الثروة أو ادخار المال. أي فائض قد ينتج عن عملهم غالبًا ما يتم التبرع به للفقراء والمحتاجين. فقد أوصى مقاريوس الكبير الرهبان قائلاً: "لا يوسوس لنا الشيطان بأفكار رديئةٍ قائلاً: "اِجمع حتى تعطي صدقةً، لأنَ من لم يشأ أن يعمل رحمةً من فلسٍ واحدٍ

---

[1] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 2، ص 377.

[2] Drayton, "Pachomius as Discovered in the Worlds of 4th Century Christian Egypt, pp. 156 – 157.

فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 2، ص 40 – 50؛ حكيم أمين، دراسات فى تاريخ الرهبنة والديرية المصرية، ص 104؛ متى المسكين، الرهبنة القبطية، ص 316.

[3] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 1، ص 433؛ يوحنا كاسيان، الأنظمة: أنظمة حياة الشركة الديرية وعلاجات الأوجاع الثمانية الرئيسة، النصوص المسيحية في العصور الأولى، ترجمة: بولا ساويرس، مراجعة: عماد موريس إسكندر، مركز باناريون للتراث الآبائي، ط1، القاهرة، 2015، ص 299 – 300.

لا يعمل رحمة ولا حتى من ألف دينار[1]. فلا نفعل ذلك، يا إخوتي، لا نفعله، لأنَّ هذه الأمور هي عمل العلمانيين. الله لا يريدنا نحن الرهبان أن نقتني ذهباً ولا فضةً ولا ملابس ولا أموراً جسدانية ... الراهب المقتني ذهباً أو فضة لا يثق أنَّ الله قادر أن يعوله، وإن كان لا يعوله فلن يعطيه ملكه"[2].

كان العمل اليدوي جزءاً أساسياً من الحياة الرهبانية في مصر منذ نشأتها، إذ لم يكن مجرد وسيلة لكسب الرزق، بل كان ضرورة لاستمرار الحياة داخل الأديرة. كانت الأديرة تقع في مناطق صحراوية نائية، بعيدًا عن التجمعات السكانية الكبرى، مما جعلها معزولة عن مصادر الإمداد بالخدمات والموارد. لقد شكلت البيئة الصحراوية تحديًا كبيراً أمام ممارسة العمل اليدوي داخل الأديرة، حيث فرضت ظروفًا صعبة تتطلب جهداً بدنياً واستدامة في استغلال الموارد المتاحة. لم تكن ندرة المواد الخام العائق الوحيد، بل كان على الرهبان التكيف مع المناخ القاسي والعمل في ظروف تتسم بارتفاع درجات الحرارة وصعوبة الوصول إلى المياه. وبالتالي، كان العمل اليدوي ضرورياً للبقاء، حيث اعتمد الرهبان على إنتاجهم الذاتي في تأمين الغذاء والملبس[3]. مما عزز استقلالية الأديرة وساعدها على الاستمرار دون الحاجة إلى دعم خارجي في أغلب الأحيان.

لم يكن العمل اليدوي مجرد خيار في الأديرة، بل كان واجبًا على جميع الرهبان، بما فيهم رؤساء الأديرة، الذين كانوا يقومون بصنع السلال والحصر[4]. وذلك في اطار بعض القواعد والضوابط التي تنظمه، حيث تم وضعها لضمان أن يتم العمل في إطار من الانضباط الروحي والتوازن مع الحياة التأملية[5]. أدى العمل اليدوي إلى تنظيم الحياة الجماعية داخل هذه الأديرة من خلال تطوير طرق جديدة للعيش الجماعي والإدارة الداخلية. فكان يتم توزيع المهام بين الرهبان بناءً على قدراتهم الشخصية وتجاربهم السابقة. في بعض الأديرة، مثل أديرة القديس

---

[1] الدينار: هي عملة قديمة تعود للعصر الروماني، وقد استمر استخدامها في مصر خلال العصر البيزنطي، وكان يتم سكها من معدن الفضة، وفي كثير من الاحيان كانت تعد وحدة تسعير وليست وحدة تحصيل، حيث كان يتم الدفع بعملات أخرى. انظر: رأفت عبد الحميد، طارق منصور، مصر في العصر البيزنطي، ص 336.

[2] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 1، ص 341.

[3] Dauphin, C., "The Diet of the Desert Fathers in Late Antique Egypt", *Bulletin of the Anglo-Israel Archaeological Society*, 19-20 (2001–2002), pp. 39 - 63.

[4] Dauphin, "The Diet of the Desert Fathers in Late Antique Egypt", pp. 39 – 63.

فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 2، ص 189 – 192؛ بستان الرهبان، إعداد الأنبا إبيفانوس، دير القديس أنبا مقار برية شيهيت، ط. ٤، ٢٠١٨م، ص 44.

[5] متى المسكين، الرهبنة القبطية، ص 315، ص 358؛ حكيم أمين، دراسات فى تاريخ الرهبنة والديرية المصرية، ص 110.

باخوميوس، كان يُطلب من الرهبان العمل في فرق وتخصصات حسب الحرف التي كانوا يتقنونها قبل الرهبنة[1]. هذه الطريقة ساعدت في تعزيز التعاون والانضباط داخل الأديرة. فتكون بذلك نموذج اقتصادي وروحي متكامل داخل الأديرة المصرية، مما جعلها نموذجاً يحتذى به في العديد من المناطق الأخرى في العالم المسيحي.

ومع نمو وازدهار الحياة الديرية، ظهرت الحاجة إلى حرف جديدة لتلبية احتياجاتها وضمان استمراريتها وسلامتها. شملت هذه الحرف الطهي، وصنع الخبز، والطب، والزراعة، والنسيج، والخياطة، وصناعة الأحذية، والبناء، مما ساعد الأديرة على تحقيق الاكتفاء الذاتي. وكان من الضروري للأديرة أن تظل قادرة على العمل وتوفير احتياجاتها، فمن لا يعمل لا يمكنه البقاء على قيد الحياة طويلاً[2]. فمع تزايد انتشار الأديرة في أنحاء مصر في العصر البيزنطي، تحولت إلى مراكز نابضة بالحياة الروحية والاجتماعية، فقد وفر للرهبان الاكتفاء الذاتي، ومكّنهم من دعم الفقراء والمحتاجين، كما عزز قيم الاجتهاد والتواضع التي شكلت جوهر الحياة النسكية. وقد ساعد هذا النهج الرهبان على تحقيق الاستقلال الاقتصادي، حيث وفر لهم سبل العيش دون الحاجة إلى الاعتماد على الخارج، كما أتاح لهم فرصة لخدمة الآخرين من خلال إنتاج الغذاء والمنتجات المختلفة. ومع مرور الوقت، أصبح العمل اليدوي انعكاسًا لفلسفة الرهبان في الاعتماد على الذات والتواضع، وأسهم في دعم المجتمعات المجاورة، مما عزز مكانة الأديرة كمراكز دينية واقتصادية مؤثرة في المجتمع[3].

كان العمل اليدوي في الأديرة المصرية في العصر البيزنطى ركيزة أساسية للحياة داخلها، إذ اعتمد الرهبان على مهاراتهم وجهودهم الذاتية لتوفير احتياجاتهم اليومية دون الحاجة في أغلب الأوقات إلى موارد خارجية[4]. فمن خلال الزراعة وتربية الحيوانات، وصناعة الغذاء،

---

[1] Drayton, J. M., "Pachomius as Discovered in the Worlds of 4th Century Christian Egypt, Pachomian Literature and Pachomian Monasticism: A Figure of History or Hagiography? " Master Thesis, Faculty of Arts, University of Sydney, Australia, 2002, p. 157.

فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 2، ص 40–50.

[2] هستوريا موناخورم أي التاريخ الرهباني لمصر وصف الرحلة التي قام بها سبعة رهبان من فلسطين لبراري مصر في القرن (٤م)، ترجمة: بولا البراموسى طبعة خاصة للباحثين والمهتمين بالدراسات التاريخية، الناشر : مشروع الكنوز القبطية، ٢٠٠٨م، ص 80.

[3] Dauphin, "The Diet of the Desert Fathers in Late Antique Egypt", pp. 39 – 63.

فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 1، ص 6؛ هستوريا موناخورم أي التاريخ الرهباني، ص 34.

[4] بستان الرهبان، إعداد الأنبا إبيفانوس، دير القديس أنبا مقار برية شيهيت، ط. ٤، ٢٠١٨م، ص 33؛ إيفيلين هوايت، تاريخ الرهبنة القبطية في الصحراء الغربية مع دراسة للمعالم الأثرية المعمارية لأديرة وادي النطرون منذ القرن الرابع الميلادي إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي. تعريب بولا البراموسى، أبناء

تمكنوا من تأمين وتوفير غذائهم اليومي[1]، بينما أسهمت الحرف اليدوية مثل النسيج، وإنتاج النبيذ في دعم استمرارية الحياة داخل الأديرة. كما احتوت قلاية الراهب سواء عاش مع الجماعة أو منفردًا،على أدوات متعددة تمكّنه من أداء العمل اليدوي الذي كان جزءًا أساسيًا من حياته اليومية. فقد كانت الأدوات مثل الإبر والحبال والخيوط، إضافة إلى أنوال النسيج في بعض القلالي، تسهم في صناعة السلال والأنسجة، مما يعكس ارتباط العمل اليدوي بتأمين احتياجات الراهب المعيشية من جهة، وتعزيز الانضباط الروحي من جهة أخرى[2]. أسهم هذا النهج في تجنب التبعية الخارجية والحفاظ على استقلالية الأديرة، حيث أصبح العمل اليدوي جزءًا من النظام اليومي للرهبان. لم يكن الهدف من هذه الأنشطة مجرد تحقيق الاكتفاء المادي، بل أيضًا تعزيز فضائل الانضباط، والاعتماد على الذات، وخدمة المجتمع المحيط بالدير. بفضل هذا النموذج المتكامل، استطاعت الأديرة أن تلعب دوراً اقتصادياً مهماً في محيطها، مع الاحتفاظ باستقلالها الروحي والإداري، مما جعلها نموذجاً ناجحاً للإنتاجية المستمرة والتوازن بين الجوانب الروحية والمادية. كان هذا النهج يعكس فلسفة الحياة المسيحية التي تربط بين العبادة والعمل اليدوي، وهو ما يميز المجتمعات الرهبانية في مصر عن نظيراتها في مناطق أخرى.

تميزت بعض الأديرة، وخاصة أديرة الأنبا شنودة، بإنتاج سلع حيوية لم تكن القرى المجاورة قادرة على تصنيعها، مما جعلها مراكز رئيسية للإمداد والتموين. ولم يكن هذا الشكل من الاحتكار بالمعنى التقليدي، بل كان ناتجًا عن تفوق هذه الأديرة في إنتاج سلع ضرورية مثل الملابس، الحصير، والسلال، التي وفرتها بأسعار منخفضة لدعم الفقراء من الفلاحين الأقباط. وأسهم هذا التخصص في تحقيق الاكتفاء الذاتي داخل الأديرة، إلى جانب تعزيز دورها الاقتصادي في المجتمع المحلي[3]. وعلى نطاق أوسع، برزت بعض الكنائس والأديرة الأخرى في التحكم بسلع تجارية استراتيجية مثل ملح النطرون البردي، مما جعلها تتمتع بنفوذ اقتصادي واسع، انعكس في بعض الاتهامات التي وُجهت إلى بعض البطاركة بشأن سيطرتهم على هذه الموارد الحيوية[4]. اعتمد الرهبان الباخوميون على نظام المقايضة

الأنبا موسى الأسود، ج 2، ط 1، 1989م، ص 64؛ ايريس حبيب المصرى، قصة الكنيسة القبطية، ص 438، ص 441، ص 442.

[1] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 2، ص 243 – 244.

[2] هستوريا موناخورم أي التاريخ الرهباني لمصر، ص 226.

[3] Bagnall, *Egypt in Late Antiquity*, p. 78

ملاك فكري توفيق يوسف، النشاط الاقتصادي للكنائس والأديرة، ص 143، ص153.

[4] Dauphin, "The Diet of the Desert Fathers in Late Antique Egypt", pp. 39 – 63.

لتأمين احتياجاتهم المعيشية، حيث استبدلوا ما ينتجونه من الحصر والسلال والحبال بالمواد الغذائية الضرورية، أو بعض الضروريات التي يحتاج إليها المرضى من سكان المناطق المجاورة[1]، مما أسهم في تحقيق نوع من التكامل الاقتصادي بين الأديرة والمجتمع المحلي. وبالمثل، لجأت أديرة الأنبا شنودة إلى تبادل السلال والملابس الكتانية والكتب، إما مقابل المال أو مقابل حاجات أساسية تسهم في تلبية متطلبات الدير واستمرارية الحياة الرهبانية داخله[2].

لم يكن النشاط الاقتصادي للأديرة يهدف إلى تحقيق الربح بقدر ما كان انعكاسًا لمبدأ العمل اليدوي الذي شكل ركيزة أساسية في الحياة الرهبانية. فقد شجعت التعاليم الرهبانية الرهبان على الإنتاج بأيديهم، ونظرت إلى الكسل باعتباره خطرًا روحيًا، بينما عُدّ الاجتهاد في العمل وسيلة للالتزام الروحي وتعزيز الأخلاق والقيم الحميدة[3]. ولم تقتصر هذه القيم على الرهبان داخل الأديرة، بل امتدت إلى المجتمعات المحيطة، حيث أسهمت طبيعة الاقتصاد الرهباني، القائم على تبادل المنتجات والمشاركة في الأسواق، في نشر ثقافة العمل والانضباط بين الأفراد. ونتيجة لذلك، أصبح الرهبان نموذجًا يُحتذى به في المثابرة وتحقيق الاكتفاء الذاتي، مما أثر إيجابيًا في سكان القرى المجاورة، الذين اكتسبوا بدورهم قيم العمل الدؤوب والاعتماد على النفس، وأسهم ذلك في تنشيط الاقتصاد المحلي وتعزيز روح التعاون بين الأديرة والمجتمع المحيط بها[4]. إن التحديات التي فرضتها البيئة الصحراوية لم تمنع الرهبان من ابتكار أساليب وتقنيات مكنت الأديرة من الاستفادة القصوى من الموارد المحدودة المتاحة. لقد طور الرهبان نظامًا مستدامًا لاستخراج المواد الخام مثل سعف النخيل والبردي، مما أسهم في استمرارية الحرف اليدوية داخل الأديرة لقرون عديدة. وهكذا، لم يكن العمل

فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 2، ص 377؛ ليلي عبد الجواد اسماعيل، القديس شنودة الاخميني الأدريبي ودوره في تاريخ مصر في العصر البيزنطي (333 – 451م)، نشرة مركز الدراسات البردية، المجلد ٢٠، العدد ١، ٢٠٠٣م، ص ٩ – ٥٨.

[1] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 2، ص 51، ص 82، ص 192.

[2] Dauphin, "The Diet of the Desert Fathers in Late Antique Egypt", pp. 39 – 63; Peacock, D. P. S., *Pottery in the Roman World: An Ethnoarchaeological Approach*. London: Longman, 1982, p. 45; Bagnall, *Egypt in Late Antiquity*, Princeton University Press, 1993, p. 67, 78;

ليلي عبد الجواد اسماعيل، القديس شنودة الاخميني، ص ٩ – ٥٨؛ ملاك فكري توفيق يوسف، النشاط الاقتصادي للكنائس والأديرة، ص 143.

[3] Dauphin, "The Diet of the Desert Fathers in Late Antique Egypt", pp. 39 – 63.

فردوس الآباء ((بستان الرهبان الموسع)، جـ 2، ص 69 – 70؛ بستان الرهبان، إعداد الأنبا إبيفانوس، دير القديس أنبا مقار برية شيهيت، ط. ٤، ٢٠١٨م، ص 34.

[4] Bagnall, *Egypt in Late Antiquity*, p. 78.

اليدوي مجرد وسيلة إنتاجية، بل كان تحديًا يوميًا يتطلب الصبر والتكيف والاعتماد على الذات، مما عزز من قدرة الرهبان على مواجهة صعوبات الحياة في العزلة الصحراوية.

لم يكن العمل اليدوي مجرد وسيلة لتعايش الرهبان، بل كان ضرورة فرضتها التعاليم الدينية التي امتدت جذورها إلى العصر الرسولي[1]. فقد واجه بولس الرسول[2] بدعة انتشرت بين أهل تسالونيك Thessalonica، حيث اعتقد البعض أن نهاية العالم وشيكة، فتوقفوا عن العمل وتفرغوا للعبادة. تصدى بولس لهذه الفكرة الخاطئة بقوله: "من لا يعمل لا يأكل"[3]، مشدداً على أهمية العمل في حياة المؤمن المسيحي. وشرح بولس في رسالته أن العمل اليدوي لم يكن مجرد حاجة مادية، بل التزام أخلاقي وروحي، مستشهداً بسلوكه الشخصي: "لم نأكل خبزاً مجاناً من أحد، بل كنا نشتغل بتعب وكد ليلاً ونهاراً؛ لكي لا نثقل على أحد منكم". كما أوضح بولس أهمية العمل في خطابه لكهنة كنيسة أفسس Ephesus، مؤكداً أنه اعتمد على جهده الشخصي في تلبية احتياجاته واحتياجات مرافقيه: "أنتم تعلمون أن حاجاتي وحاجات الذين معي خدمتها هاتان اليدان". وخلال إقامته في بيت أكيلا وبريسكلا Aquila and Priscilla في مدينة كورنثوس Corinth، عمل في صناعتهما لصناعة الخيام ليكسب عيشه[4]. وبذلك نجد أن بولس الرسول قد شدد على أهمية الالتزام بالعمل اليدوي وعدم الاعتماد على الآخرين في كسب الرزق، فهو وسيلة للنمو الروحي والتقرب إلى الله وخدمة الآخرين.

---

[1] العصر الرسولي: هي الفترة التي تبدأ من الإرسالية الكبرى أي الوصية التي أودعها المسيح – عليه السلام – لتلاميذه بنشر الإيمان المسيحي والتي أعلنت عام 33م وانتهت مع موت آخر الرسل والمعتقد أنه يوحنا الرسول حوالي عام 100م. وتستعمل هنا كلمة الرسولي بوجه خاص للدلالة على أحد التلاميذ الاثني عشر للسيد المسيح، ثم توسع المعنى، واشترط في الرسول :أن يكون قد اتصل بالمسيح، وتلقى منه تعليمه منه مباشرة، وأن يكون المسيح قد دعاه، ليشمل بذلك بولس الذي ادعى ظهور المسيح له إذا كان في الطريق بين أورشليم ودمشق. انظر: قاموس الكتاب المقدس، تأليف: نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، هيئة التحرير بإشراف: بطرس عبد الملك، الطبعة الثانية، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، القاهرة دار الثقافة المسيحية، 1995م، ص ٤٠٣.

[2] بولس: كان من اليهود المتشددين، اضطهد النصارى لكنه دخل النصرانية على أثر ترائي المسيح –عليه السلام – له، فأصبح الرسول بولس، قام بدور حاسم في توجيه الكنسية النصرانية في الأخذ بأمورعقدية وتشريعية. انظر: موسوعة آباء الكنيسة، إعداد :عادل فرج عبد المسيح، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الثقافة المسيحية، 2001م، ج1، ص 80.

[3] الكتاب المقدس (2 تسالونيكي 3:10). وذلك ضمن الرسالة الثانية من رسالتين كتبهما بولس إلى أهل تسالونيكي، وهى عاصمة مكدونية أى الجزء الشمالى من اليونان، وتسمى حالياً تسالونيك.

[4] الكتاب المقدس (أعمال الرسل 18: 3).

لقد أصبح العمل اليدوي عنصراً أساسياً في النظام الرهباني في الأديرة المصرية في العصر البيزنطي، فقد كان يعد امتداداً للمبدأ الإنجيلي، حيث كان الرهبان يرون فيه وسيلة لتجسيد قيم الإيمان في حياتهم اليومية. لم يكن الغرض من العمل اليدوي مجرد وسيلة لتلبية الاحتياجات المادية فقط، بل كان وسيلة قوية للسيطرة على الذات وتجاوز الرغبات الدنيوية، ولتحقيق التكامل بين الجسدي والروح؛ مما عزز فضائل الالتزام والمسؤولية والاعتماد على الذات. ومن خلال هذا النهج، دمج الرهبان بين العمل والعبادة في انسجام تام، حيث بات كل جهد يبذلونه تعبيرًا عن إيمانهم وتجسيدًا للقيم الإنجيلية في حياتهم اليومية[1]. لم يكن العمل اليدوي هدفاً في حد ذاته، بل كان وسيلة لتحقيق الفضائل الروحية وتعزيز الانضباط الذاتي. وقد برزت أهميتة في اقتناء هذه الفضائل في وصية أحد آباء وادي النطرون لرهبان الدير، حيث قال: "اهتم بعمل يدك، مارسه إن أمكنك ليلاً ونهاراً، لكي لا تثقل على أحد، وليكون لك ما تعطيه للمسكين كما أوصى الرسول". وأكد أن العمل اليدوي لا يقتصر على تلبية الاحتياجات المادية، بل يمتد ليصبح وسيلة لاقتناء الفضائل الروحية، حيث يساعد في قهر شيطان الضجر والملل والكسل، والتخلص من بقايا الشهوات، وتعلم قيم الصبر والمثابرة والتواضع[2].

كان العمل اليدوي أداة للتهذيب الذاتي والسيطرة على النفس. فالانشغال بالعمل يمنع الراهبان عن أنفسهم الشرور التي تتولد من الانغماس في البطالة، التي تُعد بيئة خصبة للنزعات والرغبات غير النقية، ويساعدهم على تركيز أذهانهم وتوجيه طاقاتهم نحو أهداف سامية، مما يسهم في تهدئة النفس وتطهيرها من الأفكار السلبية[3]. أدرك الرهبان أن الفراغ والبطالة يشكلان بيئة خصبة للأفكار السلبية والرغبات الدنيوية التي تعيق التقدم الروحي[4]. فالراهب الذي يعمل يهاجم بشيطان واحد فقط ولكن الكسول يحاط بشياطين لا حصر لها[5]. فالبطالة تعد مصدراً لكل الأعمال الرديئة، بخاصةً لأولئك الذين يفتقرون إلى التهذيب والتربية. واستدل على ذلك بما حدث مع اليهود أثناء وجودهم في البرية، حيث أدى فراغهم

---

[1] فردوس الآباء ((بستان الرهبان الموسع)، جـ 2، ص 189.

[2] Dauphin, "The Diet of the Desert Fathers in Late Antique Egypt", pp. 39 – 63.
متى المسكين، الرهبنة القبطية، ص 316.

[3] حكيم أمين، دراسات فى تاريخ الرهبنة والديرية المصرية، ص 104؛ يوسف حبيب، القديس أنبا موسى الأسود القس، مكتبة مدارس الأحد، كنيسة السيد العذراء بمحرم بك، ب. ت، ص 82 – 83.

[4] Dauphin, "The Diet of the Desert Fathers in Late Antique Egypt", pp. 39 – 63.
فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 1، ص 107 – 108؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل، تاريخ مصر وحضارتها في الحقبة البيزنطية – القبطية، دار الثقافة العربية، 2007م، ص 100.

[5] حكيم أمين، دراسات فى تاريخ الرهبنة والديرية المصرية، ص 101.

من العمل إلى انزلاقهم نحو عبادة الأوثان. لذلك، شدد الأب على أهمية الالتزام بالعمل اليدوي وعدم التخلي عنه، مؤكداً أنه ليس فقط وسيلة لتجنب البطالة، بل إنه نافع جدًا في تهذيب النفس وتنمية الفضائل. فالعمل اليدوي يُعد أداة أساسية لتربية الذات وحمايتها من الانشغال بالأهواء والشهوات غير السليمة[1]. قال الأب لوقيوس Lucius: "إن الشهوة تنبع من البطالة، التي قد تؤدي إلى خمول الجسد وضعفه." ولهذا أكد القديس موسى الأسود St. Moses the Blackعلى أهمية العمل الجاد، قائلاً: "أهم أسلحة الفضائل هي إتعاب الجسد بمعرفة." فالكسل والتواني لا يؤديان إلا إلى إثارة المحاربات الروحية، بينما يُعد الانشغال بالعمل والتعب الجسدي وسيلة فعّالة لمقاومة الشهوات وتنمية الفضائل الروحية[2].

كانت هناك علاقة وثيقة بين الصلاة والعمل في الأديرة المصرية في العصر البيزنطى فقد كان الرهبان يصلون بإستمرار أثناء العمل ويضفرون الحصر ويفتلون الحبال أثناءالإجتماع فمجمع العمل مساوياً تماماً في أهميته لمجمع الصلاة حيث كانوا يتلون المزامير ويرددون ما حفظوه من الكتاب المقدس وهم يؤدون أعمالهم اليدوية[3]. كان هذا النهج مستمراً، ليس فقط لتجنب التراخي والكسل الذي قد يضعف نشاطهم الروحي والجسدي، بل أيضًا لتحصين أنفسهم ضد الأفكار الشريرة. من خلال هذا المزيج بين العبادة والعمل، كانوا يدربون الروح والجسد معًا على ممارسة الفضيلة[4]، مما عزز التوازن بين الجهد الجسدي والنمو الروحي في حياتهم الرهبانية. وكان الراهب يبدأ في العمل اليدوي بمجرد طلوع ضوء الشمس وينتهي

---

[1] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 1، ص 50 – 90؛ حكيم أمين، دراسات فى تاريخ الرهبنة والديرية المصرية، ص 104؛ متى المسكين، الرهبنة القبطية، ص 52 – 53.

[2] بستان الرهبان، إعداد الأنبا إبيفانوس، دير القديس أنبا مقار برية شيهيت، ط. ٤، ٢٠١٨م، ص 70؛ يوسف حبيب، القديس أنبا موسى الأسود، ص 82 – 83؛ متى المسكين، الرهبنة القبطية، ص 316

[3] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 2، ص 74، ص 189؛ بستان الرهبان، إعداد الأنبا إبيفانوس، دير القديس أنبا مقار برية شيهيت، ط. ٤، ٢٠١٨م، ص 133؛ إيفيلين هوايت، تاريخ الرهبنة القبطية في الصحراء الغربية، ص 96.

[4] يوحنا كاسيان، الأنظمة، ص 23؛ عزيز سوريال عطية، نشأة الرهبنة المسيحية في مصر وقوانين القديس باخوميوس، رسالة مارمينا الثالثة، جمعية مارمينا العجائبي للدراسات القبطية، الإسكندرية، 1948م، ص 173؛ حكيم أمين، دراسات فى تاريخ الرهبنة والديرية المصرية، ص 63، 148 – 149، 181؛ يوسف حبيب، القديس أنبا موسى الأسود، ص 82 – 83؛ متى المسكين، الرهبنة القبطية، ص 339، 358؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل، تاريخ مصر وحضارتها، ص 88.

منه – غالباً – ظهراً[1]. لقد كان يوم الراهب في الأديرة المصرية البيزنطية مقسمًا بين: الصلاة والتعبد، والخلوة والتأمل، والعمل اليدوي، والنوم[2].

كان الرهبان يرون أن الصلاة والتأمل أثناء العمل اليدوي لهما قيمة أعلى من العمل ذاته. فقد كانت الروحانية والتأمل الروحي يحتلان مكانة أكثر أهمية في حياتهم مقارنة بالجهد الجسدي. هذا المفهوم أكده ثيودور البرامي Theodore of Pherme في أواخر أيامه عندما وبخ بعض رهبان شيهيت، الذين بدأوا يضعون العمل اليدوي في مرتبة أعلى من العمل الروحي. قال: "عندما كنت في شيهيت، كان عمل النفس هو عملنا، وأما شغل اليدين فكان محسوبًا كمكمل لعمل النفس. ولكن الآن، أصبح عمل النفس هو المضاف، وشغل اليدين هو المهم". تعكس هذه الكلمات التحذير من فقدان التوازن بين الروحانية والعمل اليدوي، وهو التوازن الذي كان جوهر الحياة الرهبانية المثالية[3]. تتضح أهمية الصلاة أثناء العمل اليدوي من قصة الأب لوقيوس Lucius، حينما زاره بعض الرهبان الذين كانوا يحبون الصلاة ولا يهتمون بالعمل اليدوي. فسألهم عن عمل أيديهم، فأجابوا أنهم يركزون على الصلاة الدائمة، كما أوصى الرسول. فقال لهم: "أما تأكلون وتنامون؟" فأجابوا بالإيجاب. عندها قال: "إذا جلستم لتأكلوا وإذا نمتم، فمن يصلي عنكم؟" فتحيروا ولم يجدوا ما يجيبون به. ثم أوضح لهم قائلاً: "اغفروا لي، فإن عملكم ليس كقولكم. أما أنا، فأريكم كيف أمارس عملي وأصلي دائماً. أجلس بعون الله وأبل الخوص وأضفر الضفائر، مردداً: ارحمني يا الله كعظيم رحمتك، وككثرة رأفتك امحُ إثمي. أفما يعتبر ذلك صلاة؟" فأجابوا: "نعم". ثم أضاف الأب لوقيوس: "إذا مكثت هكذا طول النهار أعمل وأصلي، أكسب ستة عشر فلساً يومياً، أعطي منها فلسين للفقراء وآكل بالباقي. وبذلك، يصبح الشخص الذي يأخذ الفلسين مصلياً عني أثناء أكلي ونومي، فتكتمل لي نعمة الصلاة الدائمة كما أمر الرسول. أنتم تقولون إنكم تصلون، لكن أثناء الطعام والنوم لا يصلي أحد من أجلكم. أما أنا، فأشتغل وأتصدق من عملي، والإنسان الفقير الذي يأخذ هذه الصدقة يصلي عني، وبهذا أكون قد أكملت الصلاة الدائمة. كذلك أصلي أثناء العمل، وبذلك أكون قد صليت أكثر منكم"[4]. واختتم حديثه بقوله: "من خلال ممارسة العمل اليدوي، أقهر شيطان الملل والشهوة، لأن الملل يؤدي إلى البطالة، والشهوة تنبع من البطالة. الطريقة التي سلمها لنا الرهبان هي أنه يلزمنا أن نشتغل بأيدينا، ونصوم طوال النهار، ونقتني

---

[1] إيفيلين هوايت، تاريخ الرهبنة القبطية في الصحراء الغربية، ص 95، 97.

[2] إيفيلين هوايت، تاريخ الرهبنة القبطية في الصحراء الغربية، ص 95.

[3] Dauphin, "The Diet of the Desert Fathers in Late Antique Egypt", pp. 39 – 63.
متى المسكين، الرهبنة القبطية، ص 281، 339.

[4] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 1، ص 336.

صمت اللسان، ونبكي على خطايانا"[1]. هذه القصة تعكس بوضوح أهمية الجمع بين العمل اليدوي والصلاة لتحقيق التوازن الروحي والتغلب على التجارب النفسية والجسدية في الحياة الرهبانية.

كان العمل اليومي للرهبان يتم بطريقة ميكانيكية مدروسة، بحيث يُتيح لهم التركيز الكامل على التأمل الروحي دون أي تشتت. فقد ذكر يوحنا كاسيان John Cassian[2] عند زيارته لمصر في أواخر القرن الرابع، أن العمل اليدوي المتواصل للرهبان كان يهدف إلى تعزيز التأملات الروحية واكتساب خبرة روحية عميقة ونور من المعرفة. كانوا ينفذون أعمالهم بصمت تام، حيث لم يكن هناك مجال للثرثرة بينهم. كان كل راهب يعمل العمل الموكل إليه بينما يردد في قلبه أو بلسانه بعض المزامير أو مقاطع من الكتاب المقدس التي يحفظها عن ظهر قلب، مما جعل قلوبهم وألسنتهم ملتهبة بالتأمل الروحي. كان هذا النظام الصارم يهدف أيضًا إلى قطع الطريق أمام أي أفكار شيطانية أو كلام باطل قد يشغلهم عن الروحانية. وكانوا يطبقون هذه القواعد بدقة شديدة، فلا يُسمح لأي راهب، وخصوصًا من المبتدئين، بالوقوف بلا عمل أو التحرك من مكان إلى آخر، أو حتى وضع يده في يد راهب آخر. وإذا خالف أحدهم هذه القوانين وكسر إحدى القواعد الأساسية، كان يُعتبر مذنبًا ومخالفًا للنظام. وفي هذه الحالة، لا يُسمح له بحضور الخدمة مع بقية الإخوة إلا بعد الاعتراف بخطئه والتكفير عنه من خلال عقاب علني أمام مجمع الإخوة[3]. يُبرز هذا النظام كيف كان العمل اليدوي وسيلة لتنظيم الحياة اليومية وتعزيز الحياة الروحية، حيث تم دمج التأمل والعمل في وحدة متكاملة تهدف إلى حماية النفس من التشتت والانحراف، وتعزيز الانضباط والطاعة داخل المجتمعات الرهبانية[4].

---

[1] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 2، ص 67 – 68.

[2] يوحنا كاسيان: أحد الرهبان الذين جاءوا الصحاري المصريه، ولد سنة 360 م في أسرة ميسورة الحال تقية، وكان ملماً باللغة اليونانية واللاتينية والعلوم الدينية، وفي فترة مبكرة من حياته ترك موطنه وممتلكاته واتجه إلى أحد الديرة في بيت لحم لممارسة الرهبنه، ثم اتجه بعد ذلك عام ٣٨٠ م إلي مصر بلد المنشأ للتعلم على يد رهبانها حيث قضى فيها ما يقرب من عشرين عاماً. انظر: يوحنا كاسيان، الأنظمة، ص 15 – 30.

[3] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 2، ص 57 – 68، 189 – 194.

[4] Dauphin, "The Diet of the Desert Fathers in Late Antique Egypt", pp. 39 – 63; Jerome, Preface the Rules of Saint Pachomius, trans. with introduction, by Armand Veilleux, in (Pach. Coin), Vol. 2., U.S.A., 1981, ch 5.

يوحنا كاسيان، الأنظمة: أنظمة حياة الشركة الديرية وعلاجات الأوجاع الثمانية الرئيسة، النصوص المسيحية في العصور الأولى، ترجمة: بولا ساويرس، مراجعة: عماد موريس إسكندر، مركز باناريون للتراث الآبائي، ط1، القاهرة، 2015، ص 24؛ عزيز سوريال عطية، نشأة الرهبنة المسيحية في مصر، ص 173.

مما سبق يتضح أنه بالاضافة للبعد الاقتصادي للعمل اليدوي كان له أيضاً بعد روحي، فمن خلاله كان الرهبان يحققون نوعًا من التأمل والخشوع، حيث كانوا يعتبرون كل جهد يبذلونه تعبيرًا عن إيمانهم. فهو يساعدهم على تجاوز الرغبات الدنيوية والتركيز على الأمور الروحية. هذا الجانب الروحي للعمل اليدوي يُظهر كيف أن الرهبنة لم تكن مجرد عيش في عزلة من العالم، بل كانت حياة مليئة بالعمل الدؤوب لتحقيق الانضباط الروحي. لقد جسدت العلاقة بين العمل اليدوي والممارسات الروحية مفهوم التناغم بين الجسد والروح في الحياة الرهبانية، فلم يكن العمل مجرد وسيلة لتأمين الاحتياجات المادية فقط، بل كان جزءًا من طقس يومي مقدس يعزز من الروحانية والانضباط. لقد سمح هذا التكامل للرهبان بتحويل الأنشطة اليدوية إلى لحظات تأمل وصلاة، مما ساعدهم على تحقيق توازن داخلي بين الجهد البدني والتأمل الروحي. كما أن ارتباط الحرف اليدوية بالعبادة جعلها وسيلة لتهذيب النفس وترويض الرغبات الدنيوية، مما يعكس فلسفة الرهبنة القائمة على التقشف والعمل الدؤوب كطريق للخلاص الروحي. وهكذا، لم يكن العمل اليدوي مجرد نشاط إنتاجي، بل أداة للتقرب إلى الله، ووسيلة للاندماج في نظام الحياة الرهبانية المتكامل، حيث يصبح العمل صلاة، والصلاة عملاً.

كذلك كان العمل اليدوي تعبيراً عن قيم العطاء والتكافل الاجتماعي، حيث كان الرهبان يعملون بجد واجتهاد لمساعدة المحتاجين وتقديم العون للآخرين. فقد كانت الأديرة تقدم خدمات للمجتمع المحيط بها، مثل توفير الطعام للمحتاجين، وتقديم المساعدة للمسافرين[1]. فقد كان للعمل اليدوي بعداً اجتماعياً. فلم يقتصر دور العمل اليدوي للرهبان على توفير الغذاء لأنفسهم، بل إمتد ليشمل توزيع الفائض من الإنتاج على الفقراء والغرباء، وبهذا، أصبح العمل اليدوي نموذجًا للعطاء المستدام، فهو يحقق الاكتفاء الذاتي من جهة، ويمتد تأثيره ليشمل مساعدة المحتاجين، مما رسّخ مبادئ الرحمة والإحسان داخل المجتمع[2]. فقد كان العمل داخل الأديرة يمثل فرصة مهمة للراهب لتقديم الصدقة للآخرين، حيث كان يُمَكّن الراهب من

---

[1] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 1، ط 2، ص 499؛ هستوريا موناخورم أي التاريخ الرهباني لمصر، ص 87؛ حكيم أمين، دراسات فى تاريخ الرهبنة والديرية المصرية، ص 109؛ ايريس حبيب المصرى، قصة الكنيسة القبطية، ص 438، ص 441 - 442.

[2] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 1، ص 61 – 69؛ بنتلي اليتون، قوانين آبائنا، القواعد الرهبانيّة للأنبا شنوده رئيس المتوحِّدين، ترجمة موريس وهيب وبيشوي جرجس، الكلية الإكليريكية اللاهوتية للأقباط الأرثوذكس بالأنبا رويس، ط1، القاهرة، 2021م، ص 206؛ أشعياء ميخائيل بباوي، حياة الشركة الباخومية، ثلاثة أجزاء، دير القديس باخوميوس، القاهرة، 1985، ص 61 –69.

ممارسة عمل الرحمة وهو يشعر بمجهوده وتعبه المبذول في خدمة الآخرين[1]. وقد ورد عن أحد الرهبان أنه سأل الأب بيمين Abba Pimen قائلاً: "قل لي كلمة"، فأجابه الأب قائلاً: "واظب على عمل يديك ما استطعت، لتعمل منه صدقة، لأن الرحمة تطهر الخطايا"[2]. يعكس هذا التوجيه أهمية العمل كوسيلة للرحمة والصدقة، وأنه من خلال العمل يمكن للراهب أن يقدم العون للمحتاجين بينما يحقق أيضًا الخلاص الروحي. كما أشار القديس شنودة إلى أهمية العطاء للفقراء والمساكين في كل وقت، حيث كان يشجع على تقديم المساعدة لهم بانتظام. في هذا السياق، ذكر الأنبا ويصا Anba Wisa كيف كان القديس شنودة يطبق هذا المبدأ عمليًا، قائلاً: "في كل سبت يأتي إليه كثير من المساكين، فيقربون من يديه الطاهرة، فيقدم لهم طعامًا على مائدة، فيأكل الجميع"[3]. وقد قال الأنبا موسى الأسود: "أحرى بك أن تعمل بيديك ليصادف المسكين منك خبزة لأن البطالة موت وسقطة النفس" و "اعط المحتاجين بسرور ورضى لئلا تخجل بين القديسين وتحرم من امجادهم"[4]. كذلك أوصى القديس بامبو St. Pambo بأن على كل راهب يذهب للحصاد أن يسهم بأردب [5] من القمح كل سنة لمعونة المحتاجين[6].

هكذا أسهم العمل اليدوى في تأمين احتياجات الفقراء والذي يُعتبر جزءًا من أعمال الرحمة التي يشعر الراهب بثمارها الروحية[7]. من التقاليد الراسخة في الحياة الديرية عدم إغلاق أبواب الدير أمام أي محتاج، حيث نصَّت القواعد الديرية على توزيع الطعام يوميًا عند باب

---

[1] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 1، ص 318؛ بستان الرهبان، إعداد الأنبا إيفانوس، دير القديس أنبا مقار برية شيهيت، ط. ٤، ٢٠١٨م، ص 213؛ حكيم أمين، دراسات فى تاريخ الرهبنة والديرية المصرية، ص 109؛ متى المسكين، الرهبنة القبطية، ص 316؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل، تاريخ مصر وحضارتها، ص 100.

[2] حكيم أمين، دراسات فى تاريخ الرهبنة والديرية المصرية، ص 109.

[3] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 2، ص 377؛ ليلي عبد الجواد اسماعيل، القديس شنودة الاخميني، ص ٩ – ٥٨؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل، تاريخ مصر وحضارتها، ص 100.

[4] يوسف حبيب، القديس أنبا موسى الأسود، ص 82 – 83.

[5] الأردب: هو وحدة قياس متغيرة الحجم، تم استخدامها في مصر لقياس البضائع والمحاصيل الجافة مثل القمح والحبوب وغيرها، وكان يساوي تقريبًا ٣٨ لترا (٣٤.١ قدم مكعب). انظر: رأفت عبد الحميد، طارق منصور، مصر في العصر البيزنطي، ص 335.

[6] إيفيلين هوايت، تاريخ الرهبنة القبطية في الصحراء الغربية، ص 64؛ ليلي عبد الجواد اسماعيل، القديس شنودة الاخميني، ص ٩ – ٥٨.

[7] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 1، ص 61 – 69؛ بنتلي اليتون، قوانين آبائنا، ص 145 – 152؛ تادرس يعقوب ملطي، الخط الاجتماعي عند آباء الكنيسة الأولى، كنيسة الشهيد مارجرجس باسبورتنج، 2005م، ص 140.

الدير، مع التأكيد على عدم الاحتفاظ بأي طعام فائض لليوم التالي، بل توزيعه على الفقراء وكل من يطرق أبواب الدير لأي سبب[1]. كانت حشود الفقراء تتوافد على الأديرة، كما كان الحال في الدير الأبيض، حيث اعتاد الفقراء التردد عليه أسبوعيًا، خاصة أيام السبت والأحد وخلال الأعياد، لتلقي العطايا والإحسان. وكان الأنبا شنودة معروفًا بكرمه االشديد تجاه المحتاجين، إذ لم يكن يردّ سائلًا، بل كان يمنحهم أكثر مما يطلبون. كما نصَّت قواعده الديرية على توزيع الطعام على الغرباء والفقراء والأيتام، وتقديم مساعدات وفيرة في أوقات الغلاء والمجاعات[2]. كما شملت تقديم المساعدات للمناطق القريبة والبعيدة، ولكل من احتاج إلى العون. ولم يقتصر دعم الرهبان على الفقراء الذين لجأوا إليهم، بل كانوا يقدمون الصدقات بسخاء في مختلف المناطق، التي عانت من المجاعة في بعض الفترات، وكذلك في السجون والمدن الأخرى، إذ اعتقد الرهبان أن إنفاق ثمرة عملهم يُعد قربانًا مرضيًا لله[3]. كما تضمنت أعمال البر أيضاً دعم السجناء، حرص رهبان الأديرة المصرية على تقديم المساعدات لهم، إذ يشير بلاديوس Paladius[4] إلى أن رهبان أديرة القديس باخوميوس كانوا يقدمون فائض

---

[1] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 2، ص 235 – 236؛ بنتلي اليتون، قوانين آبائنا، ص 198؛ أشعياء ميخائيل بباوي، حياة الشركة الباخومية، ص 62.

[2] Lopez, A. G., *Shenoute of Atripe and the Uses of Poverty: Rural Patronage, Religious Conflict, and Monasticism in Late Antique Egypt.* Transformation of the Classical Heritage, Vol. 50, Berkeley, University of California Press, 2013, pp. 95, 135.

بنتلي اليتون، قوانين آبائنا، ص 145، ص 152؛ ليلي عبد الجواد اسماعيل، القديس شنودة الاخميني، ص ٩ – ٥٨؛ نبيه كامل داود، وسامح شفيق، وعادل فخري، تاريخ المسيحية والرهبنة في ابروشيتي سوهاج وأخميم، مؤسسة القديس مرقس لدراسات التاريخ القبطي، ط1، 2006م، ص 81؛ ملاك فكري توفيق يوسف، النشاط الاقتصادي للكنائس والأديرة، ص 205.

[3] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 1، ص 433؛ يوحنا كاسيان، الأنظمة: أنظمة حياة الشركة الديرية وعلاجات الأوجاع الثمانية الرئيسة، النصوص المسيحية في العصور الأولى، ترجمة: بولا ساويرس، مراجعة: عماد موريس إسكندر، مركز باناريون للتراث الآبائي، ط1، القاهرة، 2015، ص 299 – 300.

[4] وُلد بلاديوس في منطقة جلاطية بآسيا الصغرى (تركيا الحالية) حوالي عام 363 ميلاديًا. نشأ في بيئة مسيحية، ويبدو أنه تلقى تعليمًا جيدًا. في شبابه، انجذب بلاديوس بشدة إلى الحركة الرهبانية الناشئة التي كانت تزدهر بشكل خاص في مصر وفلسطين. في حوالي عام 388 ميلاديًا، سافر بلاديوس إلى مصر، حيث قضى عدة سنوات في التردد على مختلف الأديرة والتجمعات النسكية في صحراء النطرون والإسقيط (وادي النطرون حاليًا) وغيرها من المناطق. خلال إقامته في مصر، التقى بلاديوس بالعديد من الشخصيات البارزة في الحركة الرهبانية. يعد من أهم مؤرخي الرهبنة القبطية. يُعتبر عمله الرئيسي، التاريخ اللوزياكي (Historia Lausiaca) – أوما يعرف ب "بستان الرهبان" – مصدرًا قيماً لفهم تطور الرهبنة المسيحية في القرنين الرابع والخامس الميلاديين. وبالرغم من اهتمام بالديوس بالجانب الروحي النسكي إل أنه أشار في مواضع عديدة للنواحي المعيشية اليومية للنساك من ملبس ومأكل ومشرب وعمل. لمزيد من التفاصيل انظر: لتفاصيل انظر: منير شكري، الرهبنة القبطية وآبائها، ص 341.

إنتاجهم للمساجين[1]. كذلك، اعتاد رهبان نتيريا على إرسال شحنات من القمح سنويًا إلى الإسكندرية لتوزيعها على المسيحيين المسجونين هناك، بالإضافة إلى الغرباء والمحتاجين[2]. وفي أعقاب الهجوم الذي شنه البربر على الكنيسة المحيطة بالقديس باخوم، بادر الرهبان بإرسال مائة أردب من القمح، إلى جانب كتب وأدوات أخرى كانت الكنيسة بحاجة إليها[3].

لم تقتصر الأهمية الروحية لأعمال الخير والبر على المفهوم الفردي فقط، بل كانت الأديرة المصرية في العصر البيزنطي تولي اهتماماً خاصاً بتقديم المساعدات والصدقات للفقراء والمحتاجين. كانت هذه الأعمال تعكس المحبة والرحمة بين البشر، ويُنظر إليها على أنها وسيلة لنيل مغفرة الذنوب والظفر بالحياة الأبدية. ويستند هذا الإيمان إلى تعاليم المسيح عليه السلام، حيث أجاب أحد السائلين عن طريق الخلاص بقوله: "اذهب وبِع أملاكك وأعطِ الفقراء، فيكون لك كنز في السماء"[4]. كما عبّر القديس مقاريوس الكبير عن أهمية الرحمة بقوله: "الرحمة من أهم الأعمال عند الله، ومن يمارسها ينال رحمة الله ورضاه"[5]. وقد شدد أحد القديسين على هذا المبدأ قائلاً: "لا شيء أشرف لنا من أن نكون رحماء ونفعل الخير، لأنه لا يوجد شيء أكثر قبولًا عند الله من ذلك." بينما عبّر القديس باسيل عن هذا المفهوم بقوله: "إذا لم تكن رحيمًا، فلن تتلقى الرحمة، وإن لم تفتح بابك للفقراء، ستُحرم من دخول ملكوت السماوات، وإذا لم تقدم الخبز للجائعين، ستحرم من الحياة الأبدية[6]. كذلك يوضح القديس يوحنا ذهبي الفم St. John Chrysostom (398–404م) [7] أهمية الصدقة بقوله:

---

[1] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 1، ص 336؛ بلاديوس التاريخ اللاوسي، النصوص المسيحية في العصور الأولى، ترجمة: بولا ساويرس مراجعة عماد موريس إسكندر، مركز باناريون للتراث الآبائي، طبعة أولى، القاهرة ٢٠١٥م، ص 420.

[2] رؤوف حبيب، تاريخ الرهبنة والديرية فى مصر، ص 91 – 92.

[3] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 2، ص 107.

[4] الكتاب المقدس (متى الإصحاح 19: 21).

[5] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 1، ص 318؛ تادرس يعقوب ملطي، الخط الاجتماعي عند آباء الكنيسة الأولى، ص 140.

[6] Bagnall, *Egypt in Late Antiquity*, p. 78.

فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 2، ص 259، ص 437.

[7] وُلد يوحنا ذهبي الفم في أنطاكية بين عامي 345 و347م لعائلة مسيحية مرموقة. بعد إتمام دراسته، قرر يوحنا أن يكرس حياته للدين، فاختار طريق الرهبنة وكرس وقته للصوم والدراسة الروحية. في عام 398م، عُيّن يوحنا بطريركًا على القسطنطينية، واشتهر بلقب "ذهبي الفم" لفصاحته. انتقد الفساد، مما عرضه للنفي عدة مرات، وتوفي في المنفى عام 407م. ترك إرثًا روحيًا وأدبيًا عظيمًا، ولا يزال مؤثرًا في الفكر المسيحي، ويُعد من أعظم آباء الكنيسة الشرقية. لمزيد من التفاصيل انظر:

Mayer, W., *The Homilies of St. John Chrysostom: Provenance: Reshaping the Foundations*. Pontificio Istituto Orientale, Rome, 2005.

"هذه النعمة أعظم من إقامة الموتى... الصدقة أعظم من الذبيحة، فهي تفتح السماوات! فقد ورد في الكتاب: 'صلواتك وصدقاتك صعدت تذكارًا أمام الله"[1]. كما أشار القديس مقاريوس إلى دور الصدقة في مغفرة الذنوب والتبرير أمام الله بقوله: "إنها عند الله تغفر الذنوب وتبرر من كل تهمة"[2]. ويؤكد البعض على أن أعمال الخير والصدقات ضرورية كأجنحة تعين الروح على الارتقاء نحو الله، فكما أن الطائر لا يستطيع التحليق بدون أجنحة، كذلك لا يمكن للعابد الوصول إلى غايته دون أن ترافق صلاته أعمال البر والإحسان[3].

تعددت صور المساعدات التي قُدّمت في الأديرة المصرية، سواء كانت عينية أو نقدية. فإلى جانب توفير بعض المشغولات اليدوية مثل الملابس وغيرها لتلبية احتياجات المحتاجين، أسهمت النساء أيضًا بتقديم جزء من أموالهن الخاصة، الناتجة عن بيع بعض المنتجات، لصالح الفقراء. كما اهتممن بتفقّد المرضى، ورعاية السجناء، والاعتناء بالمساكين، والغرباء، والمحتاجين، مما يجسد قيم التكافل الاجتماعي والرحمة[4]. وكان يوجد بيت للضيافة بجوار الكنيسة يمكن للغرباء – الذين يرغبون في رؤية الحياة الرهبانية بدون الانضمام الفعلي فيها – أن يقيموا فيه لمدة تصل إلى ثلاث سنوات. وكان يسمح لهم بقضاء اسبوع واحد بدون عمل، ثم يعهد إليهم بنوع من الأعمال خاصة في الحدائق والمخابز والمطابخ[5]. إن العمل اليدوي داخل الأديرة لم يُعد مجهوداً جسدياً فحسب، بل هو جزء أساسي من خدمة الإنسان والاعتناء به، فهو يعزز قيم الرحمة والإحسان والعطاء. فالرهبان من خلال أعمالهم المهنيه، مثل الزراعة أو صناعة السلع، يقومون بتحويل هذا الجهد إلى صدقات تقدم للفقراء والمحتاجين. بذلك، لا يقتصر العمل على تلبية احتياجات الدير فقط، بل يمتد ليشمل تحقيق

---

[1] هستوريا موناخورم أي التاريخ الرهباني لمصر، ص 25؛ حكيم أمين، دراسات فى تاريخ الرهبنة والديرية المصرية، ص 109؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل، تاريخ مصر وحضارتها، ص 91 – 92؛ تادرس يعقوب ملطي، الخط الاجتماعي عند آباء الكنيسة الأولى، ص 315 – 316.

[2] تادرس يعقوب ملطي، الخط الاجتماعي عند آباء الكنيسة الأولى، ص 140.

[3] Bagnall, *Egypt in Late Antiquity*, p. 78.

فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 1، ص 336؛ هستوريا موناخورم أي التاريخ الرهباني لمصر، ص 25؛ حكيم أمين، دراسات فى تاريخ الرهبنة والديرية المصرية، ص 109؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل، تاريخ مصر وحضارتها، ص 91 – 92؛ تادرس يعقوب ملطي، الخط الاجتماعي عند آباء الكنيسة الأولى، ص 21.

[4] هستوريا موناخورم أي التاريخ الرهباني، ص 25؛ حكيم أمين، دراسات فى تاريخ الرهبنة والديرية المصرية، ص 109؛ محمد عثمان عبد الجليل، "الرهبنة النسائية في مصر البيزنطية من القرن الرابع حتى السابع الميلادي"، مجلة كليـــة الآداب بقنـــا، مصر، مج 9، ع 10، ١٩٩٧م، ص 346 – 379؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل، تاريخ مصر وحضارتها، ص 91 – 92.

[5] إيفيلين هوايت، تاريخ الرهبنة القبطية في الصحراء الغربية، ص 65.

العدالة الاجتماعية، من خلال توزيع الفائض من الإنتاج على من هم في حاجة إليه. وتسهم هذه الأعمال في رفاهية الآخرين، مما يعزز من قيم التكافل الاجتماعي والتضامن داخل المجتمع، ويجسد مفهوم العطاء كجزء من الحياة الروحية اليومية[1].

كذلك كان العمل اليدوي الشاق جزءاً أساسياً من برنامج توبة الرهبان، حيث يُظهر القديس موسى الأسود مثالاً حياً على ذلك. فعندما تألبت عليه الشهوة بثورات جسدية عنيفة، لجأ إلى قمعها من خلال الانشغال بالأعمال المرهقة مع الالتزام بالصيام. كان يكتفي بكسرة خبز عند الإفطار. فكان يقوم بحمل الماء من البئر ونقله إلى مساكن الرهبان، التي تبعد عنه مسافات طويلة تتراوح بين 3 إلى 8 كيلومترات. هؤلاء الرهبان أحياناً لم يكونوا يعرفون مَن الذي يقوم بذلك. نتيجة لهذه الجهود الجسدية الشاقة، أصيب جسده بالهزال الشديد وأصيب بالمرض، مما اضطره إلى ملازمة الفراش لمدة عام كامل حتى بدأ في استعادة صحته تدريجيًا. يبرز هذا المثال كيف أن العمل الشاق لم يكن مجرد نشاط يومي، بل وسيلة فعالة لتقوية الروح والسيطرة على الجسد في الحياة الرهبانية[2]. كان الأنبا بلامون Anba Palaemonوالشاب باخوميوس نموذجاً للتفاني في العبادة والعمل اليدوي. فقد اعتادا على الاستيقاظ ليلاً للصلاة، مع الاستمرار في عملهما اليدوي دون انقطاع. وإذا غلبهما النوم أثناء العمل، كانا يستبدلان النشاط بعمل يدوي آخر للتغلب على النعاس. وفي حال استمر الشعور بالنوم، كانا يصعدان إلى الجبل ويحملان الرمل في مقاطف، لينقلانه من مكان إلى آخر بهدف إرهاق الجسد، مما يمكنهما من البقاء مستيقظين لأداء الصلاة[3]. ويذكر أن الراهب يونان Younan – في دير منخوسين (بالقرب من إدفو) – لم يكن يعرف شيئاً من راحة الجسد من العمل المتواصل، لأنه كان يعمل دائماً بغيرة وحماس. فكان يعمل طول النهار في البستان، ثم يدخل قلايته يفتل الحبال إلى أن يحين وقت اجتماع صلاة الليل، وكان يضفر الحبال وهو يلهج في أقوال الله التي كان يحفظها عن ظهر قلب[4]. يُظهر هذا السلوك الالتزام العميق بتقديم الجسد كأداة للخدمة الروحية، حيث كان العمل اليدوي وسيلة لتقوية النفس والانتصار على الجسد، من أجل التفرغ الكامل لعبادة الله.

تنوعت الأعمال اليدوية التي مارسها الرهبان لتشمل مجموعة واسعة من الحرف والمهارات. وكان إتقان الرهبان لأكثر من حرفة بمثابة جواز مرور لجذب زبائن جدد، وهو

---

[1] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 1، ص 499؛ هستوريا موناخورم أي التاريخ الرهباني لمصر، ص 87؛ ايريس حبيب المصرى، قصة الكنيسة القبطية، ص 438، ص 441، ص 442.

[2] يوسف حبيب، القديس أنبا موسى الأسود، ص 40؛ متى المسكين، الرهبنة القبطية، ص 264 – 266.

[3] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 2، ص 7 – 8.

[4] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 2، ص 73 – 74.

أمرٌ ربما لم يكن سهلًا في الصوامع النائية بالصحراء بعيدًا عن النيل[1]. لقد شارك الرهبان المصريون في مختلف الصناعات والحرف، وعرفوا بجودة إنتاجهم من المصنوعات اليدوية، واندمجوا في الحياة الاقتصادية، حيث حرّمت النظم الديرية المختلفة البطالة داخلها. وقد أشار يوحنا كاسيان، الذي أمضى أكثر من سبع سنوات في مصر، إلى ذلك بقوله: "ما من دير في مصر إلا ويحرم البطالة على الرهبان أشد تحريم، وأنه من المفروض عليهم أن يكسبوا قوتهم اليومي بالأشغال اليدوية" [2]. مما أسهم في تعزيز سمعة الأديرة كمراكز للإبداع والتفوق الحرفي. ويذكر الرحالة بلاديوس أن دير القديس باخوميوس في دندرة كان يضم ألفين وخمسمائة راهب، يعيشون في مجتمع مشترك. كانت هناك جماعة تعمل في الحرف اليدوية للجميع: خمسة عشر خياطًا، وسبعة حدادين، وأربعة نجارين، وخمسة عشر صباغًا، وعشرون دباغًا، وخمسة عشر إسكافيًا، وعشرون بستانيًا، وعشرة ناسخين، واثنا عشر سائق جمال، وعمال السلال الكبيرة، وعشرون عاملًا من المراجين (الذين يرعون الأغنام في المروج)، وعشرون حارسًا، وعشرة فلاحين لخمسين فدانًا[3]. مما يعكس تنوع الحرف التي أسهمت في دعم الحياة الرهبانية وتوفير احتياجات الدير والمجتمع المحيط. وقد رأى في دير بانوبوليس (إخميم الحالية) خمسة عشر خياطاً، وسبعة يعملون في المعادن، وأربعة نجارين، وخمسة عشر قصاراً (أي الذين يبيضون الأقمشة)، وأن الرهبان يعملون في كل نوع من الحرف، فمنهم من يعمل في فلاحة الأرض، او كبستاني، أو خبازاً، أو قصاراً (للملابس)، وآخر يضفر سلالاً أو حصراً، وغيره ناسخ، وآخر يعمل شباكاً للصيد. وهم جميعاً يحفظون الأسفار عن ظهر قلب. ومن فائض أرباحهم يساعدون أديرة النساء ونزلاء السجون[4]. تحدث الرحالة بلاديوس عن ممارسة مهنة الحدادة في الأديرة، حيث ذكر أنه عندما دخل مدينة بانوبوليس، وجد سبعة حدادين يعملون في دير واحد. كما أشار أيضًا إلى العمل في تشكيل

---

[1] Wipszycka, E., "Resources and economic activities of the Egyptian monastic communities (4th–8th century)", *The Journal of Juristic Papyrology*, XLI (2011), pp. 159-263.

[2] يوحنا كاسيان، الأنظمة: أنظمة حياة الشركة الديرية وعلاجات الأوجاع الثمانية الرئيسة، النصوص المسيحية في العصور الأولى، ترجمة: بولا ساويرس، مراجعة: عماد موريس إسكندر، مركز باناريون للتراث الآبائي، ط1، القاهرة، 2015، ص 299 – 300.

[3] Dauphin, "The Diet of the Desert Fathers in Late Antique Egypt", pp. 39 – 63.

فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 2، ص 27، 198 – 192؛ بلاديوس التاريخ اللاوسي، النصوص المسيحية في العصور الأولى، ص 420 – 422.

[4] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 2، ص 20 – 21.

المعادن[1]. مما يعكس تنوع الحرف التي كانت تمارس داخل الأديرة، ودورها في تلبية احتياجات المجتمع المحلي وتطوير الاقتصاد المحلي من خلال هذه الصناعات[2].

لقد انخرط الرهبان في مجموعة متنوعة من الحرف اليدوية التي لعبت دوراً أساسياً في حياتهم اليومية، حيث سعوا إلى تحقيق التوازن بين العمل والتعبد، هو أمر بالغ الأهمية في الحياة الرهبانية، حيث يجب أن تكون الحرف وسيلة لتعزيز العلاقة مع الله دون أن تصبح مصدراً للإلهاء. فقد كانت بعض هذه الحرف، مثل صناعة السلال والنسيج، تتيح لهم فرصة الصلاة والتأمل أثناءالقيام بها، مما أسهم في تعزيز حياتهم الروحية. في المقابل، كانت هناك بعض الأعمال الأخرى تتطلب تركيزاً وجهدًا بدنياً أكبر، مثل الزراعة وطهي الطعام، وصيانة المباني، وجمع المياه، والتي قد تعيق ممارسة الصلاة بشكل مباشر، لكنها ظلت ضرورية لضمان استمرارية الحياة في بيئة معزولة داخل الأديرة. وبالرغم من ذلك لم يكن العمل بالنسبة لهم مجرد وسيلة للبقاء، بل كان جزءاً من نهجهم الروحي، حيث سعوا إلى تحويل جميع أعمالهم إلى أعمال مقدسة من خلال الصلاة المستمرة والتأمل، معتبرين أن العمل بحد ذاته نوع من العبادة والتقرب إلى الله.

يُعد العمل في صناعة منتجات البوص داخل الأديرة من الأنشطة التقليدية التي مارسها الرهبان، إذا أنها لا تشكل عائقًا أمامهم أثناء تلاوة المزامير والتأمل الروحي. أثناء العمل تُسهم هذه الصناعات البسيطة بشكل أساسي في دعم اقتصاد الأديرة، لا سيما الأديرة الصحراوية. وتشمل هذه الحِرف صناعة الحصير، والسلال، والحبال، والشباك، بالإضافة إلى المكانس، والفرش، وغيرها من المنتجات المصنوعة من الحلفا، وألياف النخيل، والأعشاب، والبوص[3]. شكّلت صناعة الحصير إحدى أكثر الحرف شيوعاً داخل الأديرة المصرية في العصر البيزنطى، لم تكن صناعة الحصير مجرد نشاط اختياري، بل كانت عملاً إجبارياً يُفرض يوميًا على جميع الرهبان. إذ كان يُلزم كل راهب بإنتاج حصيرة واحدة يوميًا من البردي، ثم يضعها عند باب صومعته قبل أن يتم جمعها لاحقًا. تشير المصادر التاريخية إلى

---

[1] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـــ 2، ص 20.

[2] El-Fakharani, F., "Recent excavation at Marea in Egypt," in Das Römisch-Byzantinische Ägypten, Akten des internationalen Symposios, 1983, pp. 175-186.

هستوريا موناخورم أي التاريخ الرهباني لمصر، ص 87؛ ملاك فكري توفيق يوسف، النشاط الاقتصادي للكنائس والأديرة، ص110.

[3] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـــ 2، ص 55، ص 192؛ هستوريا موناخورم أي التاريخ الرهباني لمصر، ص 228؛ بستان الرهبان، إعداد الأنبا إبيفانوس، دير القديس أنبا مقار برية شيهيت، ط. ٤، ٢٠١٨م، ص 33؛ كميل عزيز صليب، "أمون أب رهبان جبل نيتريا"، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، مج 60، ع 22، 2010م، ص 327 – 349.

أن القديس بامبو، الذي عاش في صحراء الأسقيط[1]، كان يمارس حرفة صناعة الخوص طوال حياته النسكية. وقد زارته ميلانيا الكبرى Melania the Elder ذات يوم، فوجدته منشغلاً بضفر خوص النخيل[2]. كما يُذكر أن القديس مقاريوس الكبير كان يعمل في صناعة السلال أيضًا، وكان يبيعها للجمالين الذين يأتون لحمل النطرون[3]. ليحصل بثمنها على الخبز اليابس الذي يقتات به. وقد كانت هذه الحرفة تتماشى تماماً مع فلسفة الرهبنة، حيث توفر للرهبان مورداً بسيطاً للحياة دون أن تشتت انتباههم عن العبادة والتأمل الروحي، بل كانت تتيح لهم فرصة الاستمرار في الهذيذ، أثناء العمل، حيث يرددون المزامير والصلاة أثناء جدل الخوص[4]. وتشير الروايات إلى أن بعض الرهبان كانوا ينجزون كميات كبيرة من الضفائر خلال الليل، كما يُروى عن الأنبا أخيلاس Achillas Anba أنه كان يصنع ما يقارب أربعين مترًا من الضفيرة في ليلة واحدة[5]. وقد أسهم هذا النظام في تعزيز قيم العمل الجماعي والانضباط داخل الأديرة، لم يكن إنتاج الحصير مقتصراً على تلبية الاحتياجات الداخلية للأديرة فقط، بل كان يُستخدم كوسيلة للتبادل التجاري، حيث باع الرهبان حصائرهم في الأسواق أو قاموا بمقايضتها لتأمين احتياجاتهم الأساسية. تشير بعض الوثائق البردية إلى أن الأديرة قد أسهمت في تلبية احتياجات بعض الأشخاص من حصر لاستخدامها في الحمامات[6]. لقد كانت صناعة الحصير أحد الأعمدة الاقتصادية التي أسهمت في لضمان استمرار الحياة الرهبانية. خاصة في الأديرة الصحراوية التي اعتمدت على الموارد الذاتية. ولم يقتصر استخدام الحصير على فرش الأرضيات فقط، بل أظهرت الأدلة التاريخية أن الرهبان كانوا يستخدمونه كأسرة للنوم داخل قلاليهم وصوامعهم، وهو ما يتماشى مع طبيعة الحياة النسكية التي تتسم بالزهد والتقشف[7]. بالرغم من التطورات التي شهدها العالم، بقيت

---

[1] الإسقيط: هو الاسم التاريخي لمنطقة وادي النطرون التي اشتهرت بكونها مركزًا رئيسيًا للرهبنة المسيحية في القرون الأولى. انظر: منير شكري، الرهبنة القبطية وآبائها، ص 341.

[2] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 1، ص 12، ص 318، ص 379؛ كميل عزيز صليب، "أمون أب رهبان جبل نيتريا"، ص 327 – 349.

[3] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 1، ص 318؛ بستان الرهبان، إعداد الأنبا إيفانوس، دير القديس أنبا مقار برية شيهيت، ط. ٤، ٢٠١٨م، ص 24.

[4] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 1، ص 12، 318، 379؛ هستوريا موناخورم أي التاريخ الرهباني، ص 18؛ إيفيلين هوايت، تاريخ الرهبنة القبطية في الصحراء الغربية، ص 182.

[5] Dauphin, "The Diet of the Desert Fathers in Late Antique Egypt", pp. 39 – 63.
إيفيلين هوايت، تاريخ الرهبنة القبطية في الصحراء الغربية، ص 96.

[6] *SB*: Sammelbuch Griechischer Urkunden aus Ägypten, XVIII, no. 14062, eds. Friedrich Preisigke et al., https://papyri.info/ddbdp/sb;18;14062

[7] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 2، ص 67، ص 192.

صناعة الحصير جزءاً من التراث الرهباني القبطي فقد استمرت بعض الأديرة في الحفاظ على هذه الحرفة التقليدية، سواءً للحفاظ على الإرث الرهباني أو للاعتماد عليها كمصدر دخل إضافي. وهكذا، فإن صناعة الحصير لم تكن مجرد حرفة تقليدية، بل كانت انعكاساً حقيقياً للفكر الرهباني القائم على الموازنة بين العمل الروحي والعمل اليدوي، في إطار فلسفة تجمع بين التأمل والتقشف والاكتفاء الذاتي.

تعد صناعة السلال واحدة من أقدم الحرف التي مارسها الرهبان في الأديرة القبطية في العصر البيزنطي، لم تكن هذه الصناعة تتطلب مهارات متخصصة أو براعة فنية، بل كانت من الصناعات البسيطة التي يُمكن لأي راهب ممارستها دون الحاجة إلى تدريب مسبق. وكانت السلال تُصنع من ليف النخيل، وتُزوّد بمقابض مصنوعة من الحبال، مما جعلها عملية وسهلة الاستخدام، وخاصة في نقل الخبز أو جرار النبيذ[1]. ومع حلول القرن الخامس الميلادي، شهدت هذه الصناعة تطوراً ملحوظاً وازداد إنتاجها، نظراً لسهولة صناعتها وإمكانية تصريفها في الأسواق المحلية، حيث أصبحت أحد المصادر الاقتصادية التي اعتمدت عليها الأديرة في تدبير احتياجاتها[2]. وتكمن أهمية هذه الحرفة في كونها لم تتطلب أدوات معقدة أو آلات، مما جعلها من الصناعات التي يمكن ممارستها بسهولة داخل الأديرة. وكان الرهبان يجدون فيها وسيلة مثالية للجمع بين العمل والصلاة، حيث يمكنهم تلاوة المزامير والتأمل أثناء العمل دون انقطاع. وبالرغم من بساطتها، فإنها تطلبت مجهوداً كبيراً وصبرًا طويلاً، وهو ما جعلها جزءاً من التمارين الرهبانية التي تقوم على المثابرة والتقشف والعمل اليدوي. في النهاية، لم تكن صناعة السلال مجرد نشاط اقتصادي، بل كانت انعكاسًا للحياة الرهبانية المتواضعة، التي جمعت بين العمل اليدوي والزهد، وشكّلت جزءًا أساسيًا من التقاليد الرهبانية التي استمرت عبر العصور.

شهدت الأديرة المصرية كذلك ازدهاراً في صناعة الحبال، حيث تشير الدلائل التاريخية انتشار هذه الحرفة بين الرهبان[3]، الذين اعتمدوا على المواد الطبيعية المتوفرة لصناعة الحبال والشباك. وكانت الحشائش المستخدمة في هذه الصناعة تُجمع من خارج الأديرة، ثم تُخزَّن في المساحات المفتوحة والأماكن الخالية المحيطة بمباني الدير أو على امتداد الطرق

---

[1] *P. Mon. Epiph. Coptic*.: Papyri Monasterii Epiphanii Thebaidis Coptica. Crum, W. E., and H. G. Evelyn White, *The Monastery of Epiphanius at Thebes*, Part II. New York, 1926, 90 (p. 179), 280 (p. 227), 401 (p. 258), 537 (p. 289)

[2] Wipszycka, "Resources and economic activities of the Egyptian monastic communities (4th–8th century)", pp. 159-263.

[3] *P. Mon. Epiph. Coptic*., 113 (p. 182), 551 (p. 293); *SB*, XVIII, no. 14063, http://papyri.info/ddbdp/sb;18;14063

المؤدية إليه، ليتم تجفيفها وتجهيزها قبل استخدامها في عملية التصنيع وكانت حشائش الحلفا من أكثر المواد شيوعًا في صناعة الحبال، نظراً لقوتها ومرونتها، بالإضافة إلى استخدام ليف النخيل الذي وفر بديلًا قويًا وعملياً. لم تقتصر هذه الصناعة على إنتاج الحبال فقط، بل شملت أيضًا صناعة الشباك التي كان يتم تصنيعها من الكتان وهي مادة طبيعية أخرى عُرف استخدامها منذ العصور القديمة[1]. اشتهر رهبان شيهيت بشكل خاص بصناعة المقاطف وحبال الليف المصنوعة من النخيل، إلى جانب الحصر المنسوجة من نبات البردي الذي كان ينمو بكثرة على ضفاف البحيرات وفي المناطق التي تتوفر فيها المياه الجوفية بالقرب من سطح الأرض. وكانت هذه الحرف لا تمثل فقط وسيلة لكسب العيش داخل الأديرة، بل أيضًا شكلًا من أشكال التأمل الروحي، حيث كان الرهبان يمارسونها أثناء الهذيذ مرددين المزامير والصلاة أثناء العمل[2]. وهكذا، شكلت صناعة الحبال والشباك جزءًا أساسيًا من التراث الرهباني في مصر، وتجسيدًا لفلسفة الرهبنة القبطية في دمج العمل والتأمل من أجل الاكتفاء الذاتي والزهد.

لعبت الموارد الطبيعية دوراً مهماً في دعم هذه الأنشطة الحرفية داخل الأديرة، حيث اعتمد الرهبان على خوص النخيل والكتان وحشائش الحلفا في صناعة الحصير والسلال والحبال. إذ كانت هذه الحرف شائعة بين الرهبان، إذ مارسهوها أثناء التأمل والصلاة. أسهم فائض الإنتاج في توفير مورد مالي لهم من خلال بيعه في الأسواق المحلية[3]. كان على الرهبان المقيمين في معابد نيتريا[4] وكيليا[5] والإسقيط البحث عن مشترين لمنتجاتهم اليومية،

---

[1] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 2، ص 192؛ هستوريا موناخورم أي التاريخ الرهباني لمصر، ص 40؛ كميل عزيز صليب، "أمون أب رهبان جبل نيتريا"، ص 327 – 349.

[2] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 2، ص 192.

[3] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 2ص 67؛ حكيم أمين، دراسات فى تاريخ الرهبنة والديرية المصرية، ص 101؛ بلاديوس التاريخ اللاوسي، النصوص المسيحية في العصور الأولى، ص 421؛ كميل عزيز صليب، "أمون أب رهبان جبل نيتريا"، ص 327 – 349؛ ملاك فكري توفيق يوسف، النشاط الاقتصادي للكنائس والأديرة، ص 89 – 97.

[4] نيتريا: هي منطقة صحروية شاسعة في الصحراء الغربية لمصر، وتقع جنوب الإسكندرية، على مسافة 35 ميلاً غرب الفرع الغربي للنيل. انظر: بلاديوس التاريخ اللاوسي، النصوص المسيحية في العصور الأولى، ص 447.

[5] كيليا: هي منطقة صحروايه تقع جنوب نيتريا بحوالي خمسة عشر ميلاً في الصحراء الغربية المصرية عرفت باسم القلالي لانتشار صوامع الرهبان بها، وتقع على الطريق بين "نيتريا" وصحراء "شيهيت". وقد لعبت هذه المنطقة دورًا محوريًا في تطور تقاليد الرهبنة. انظر: بلاديوس التاريخ اللاوسي، النصوص المسيحية في العصور الأولى، ص 447.

وتحديدًا في المدن، لأن الفلاحين أنفسهم كانوا ينتجون كل ما يقدمه الرهبان، ولا يمكنهم أن يصبحوا زبائنهم إلا في حالات استثنائية. أحيانًا، كانت الصوامع الواقعة في أقاصي الصحراء يزورها التجار، فيأتون على ظهور الجمال أو الحمير لشراء بضائع الرهبان، ويدفعون ثمنها بالحبوب أو الخضراوات أو النقود. وغالباً كان ناسخو الكتب وحدهم هم من يعتمدون على مجيء الزبائن إليهم، وإلا لما كان هناك جدوى من نسخ المخطوطات[1]. بالرغم من بساطة تلك الحرف، فأن ممارستها لم تكن سهلة، خاصة في المناطق الصحراوية مثل وادي النطرون، حيث كان الرهبان يقطعون مسافات طويلة لجمع المواد الخام مثل سعف النخيل والبردي[2]. ثم يخضعونها لعمليات معالجة مثل التجفيف والنقع في الماء لتسهيل استخدامها[3]. وقد برع الرهبان في جدل الضفائر اللازمة لصناعة المقاطف والسلال، والتي جاءت بأشكال وأحجام متعددة، بدءاً من السلال الملونة ذات الأغطية، وحتى السلال الكبيرة المعروفة باسم "سبريدس"، والتي احتاجت إلى مهارة خاصة في صناعتها[4].

وقد برع الرهبان في صناعة النسيج، حيث كانت من الحرف التقليدية الشائعة بين الرهبان في الأديرة، حيث تميزت بملاءمتها لأسلوب الحياة الرهباني. لم تكن أدواتها معقدة أو تتطلب مكانًا خاصًا، مما أتاح للرهبان إمكانية ممارستها في أي موضع داخل الدير. كما أنها انسجمت مع الطقوس الروحية، إذ كان بإمكان الرهبان غزل ونسج الأقمشة أثناء تلاوة المزامير وأداء الصلوات والتأمل. لهذا السبب، انتشرت هذه الحرفة على نطاق واسع بين الرهبان، وتشير المصادر إلى العدد الكبير من العاملين بها، حيث كانوا ينسجون كميات وفيرة من الأقمشة ويوزعونها على الفقراء في المناطق المحيطة[5]. وكانت قلالي الرهبان تحتوي على الأدوات اللازمة لهذه الصناعة، مثل الإبر، والخيوط، وسعف النخيل، بل وشوهدت في بعضها أنوال يدوية للنسيج[6]. اشتهر رهبان نتريا بشكل خاص بغزل ونسج الكتان، مستفيدين

---

[1] Wipszycka, "Resources and economic activities of the Egyptian monastic communities (4th–8th century)", pp. 159-263.

[2] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 1، ص 88؛ حكيم أمين، دراسات فى تاريخ الرهبنة والديرية المصرية، ص 101.

[3] حكيم أمين، دراسات فى تاريخ الرهبنة والديرية المصرية، ص 101؛ إيفيلين هوايت، تاريخ الرهبنة القبطية في الصحراء الغربية، ص 95 – 96.

[4] Dauphin, "The Diet of the Desert Fathers in Late Antique Egypt", pp. 39 – 63.
فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 2، ص 67؛ متى المسكين، الرهبنة القبطية، ص 359.

[5] هستوريا موناخورم أي التاريخ الرهباني لمصر، ص 226؛ ملاك فكري توفيق يوسف، النشاط الاقتصادي للكنائس والأديرة، ص 111 – 112.

[6] هستوريا موناخورم أي التاريخ الرهباني لمصر، ص 226؛ متى المسكين، الرهبنة القبطية، ص 176، 316، 358.

من قربهم من حقول الكتان التي وفرت لهم المادة الخام بسهولة. كانوا يقضون ساعات طويلة في ممارسة هذه الحرفة أثناء التأمل في الكتاب المقدس، مستخدمين الأنوال اليدوية لصناعة الأقمشة، التي كانت تُستخدم إما في إنتاج الملابس الرهبانية أو تُباع لتغطية احتياجات الدير. وقد حققت الأديرة أرباحًا كبيرة بفضل الإقبال الكبير على منتجاتها، وتشير إحدى الوثائق من القرن الرابع في البهنسا إلى أن الرهبان كانوا يتلقون طلبات لصناعة الملابس وفقًا لمواصفات محددة يحددها العملاء، وغالبًا ما كانوا يستخدمون المواد الخام التي يوفرها المشترون[1]. كانت أديرة وادي النطرون تشتهر بصناعة الأقمشة الكتانية، وقد شارك بعض كبار النساك في هذه الحرفة، مما مكّن مجتمع الدير من تحقيق الاكتفاء الذاتي فيما يتعلق باحتياجاته من الملابس. وبفضل الطلب المرتفع على الأقمشة الكتانية، لم تقتصر هذه الصناعة على تلبية الاحتياجات الداخلية فقط، بل أصبحت أيضاً مصدرًا لتحقيق أرباح، مما أسهم في دعم الاقتصاد الديري وتعزيز استدامته[2]. كما مارس الرهبان حرفة الصباغة، التي تعتبر من الحرف المكملة لصناعات النسيج، حيث كانت تلعب دورًا مهمًا في عملية الإنتاج داخل الأديرة[3].

وأتقن الرهبان صناعة الفخار، فهي من الصناعات القديمة التي تمتد جذورها في تاريخ مصر منذ العصور القديمة، حيث كانت الكنائس والأديرة في مصر البيزنطية تمتلك العديد من الفواخير على أراضيها. وقد تعاونت الأديرة مع الأفراد المدنيين في امتلاك الفواخير واستغلالها، حيث كان المدنيون يعملون في هذه الفواخير لتلبية احتياجات الأديرة والمجتمع المحلي[4]. وقد تخصصت بعض الأديرة في إنتاج أنواع معينة من المنتجات الفخارية، مثل الجرار والمزهريات والمسارج والقوارير والتماثيل الصغيرة، التي كانت تستخدم في الحياة اليومية والطقوس الدينية. وكانت هذه المنتجات الفخارية جزءًا مهمًا من رحلات الحجاج إلى الأديرة، حيث كانوا يستخدمونها في نقل المياه المباركة أثناء حجهم. على سبيل المثال، اشتهر

---

[1] Wipszycka, *L'industrie textile dans l'Égypte romaine*, Wrocław, 1964, pp. 17–21. Wipszycka, "Resources and economic activities of the Egyptian monastic communities (4th–8th century)", pp. 159−263.

بلاديوس التاريخ اللاوسي، النصوص المسيحية في العصور الأولى، ص 356؛ ملاك فكري توفيق يوسف، النشاط الاقتصادي للكنائس والأديرة، ص 113.

[2] Bagnall, *Egypt in Late Antiquity*, p. 67; Peacock, D. P. S., *Pottery in the Roman World: An Ethnoarchaeological Approach*. London: Longman, 1982, p. 45; Wipszycka, "Resources and economic activities of the Egyptian monastic communities (4th–8th century)", pp. 159-263.

[3] Montserrat, D., "A List of Monastic Garments from Oxyrhynchus", *The Bulletin of the American Society of Papyrologists*, 1992, pp. 81-84.

[4] *P. Cairo Masp*. 1, 67110; Stud. Pal. (2) 3, 104.

دير القديس أبيفانوس في قنا بصناعة القدور والكؤوس والأطباق الفخارية والقلل والقوارير التي كانت تستخدم لحفظ النبيذ. كانت هذه القوارير تطلى بالقار لمنع تسرب النبيذ منها خلال فترات التخزين الطويلة أثناء عملية التخمير[1]، مما يعكس الدقة في تصنيع المنتجات الفخارية التي كانت تُستخدم في الحياة اليومية وفي الطقوس الدينية.

وأهتم الرهبان بالزراعة وتطويرها. حيث أسهمت الأنشطة الزراعية في الأديرة في تحقيق دخل مادي مهم، فقد قام الرهبان بزراعة محاصيل متنوعة تشمل القمح والخضروات والفواكه. كانت هذه المحاصيل ضرورية ليس فقط لتلبية احتياجاتهم الغذائية اليومية، بل أيضًا لتحقيق دخل للأديرة[2]. لقد كانت الخضروات من الأطعمة الأساسية لدى الرهبان والراهبات، إذ كانت تعد من المصادر الغذائية الغنية بالفيتامينات والمعادن التي تسهم في تعزيز الصحة العامة للجسم. وقد امتنع بعض الرهبان عن تناول الخبز تمامًا، واكتفوا بتناول الأعشاب والخضروات وجذور النباتات كغذاء أساسي. كان هذا النمط الغذائي مستمرًا حتى لمدة خمسين عامًا في بعض الحالات. في مناطق مثل نتيريا وغيرها، كان بعض النساك لا يتناولون الخبز أو الفاكهة، بل كانوا يعتمدون فقط على الخضروات التي يتم تناولها إما نيئة أو مخللة[3]. اشتملت قائمة الخضروات على الكرنب والخس والكرات والبصل والفجل والخيار والقرع والخرشوف. كما ورد ذكر البسلة الجافة في بعض النصوص المتعلقة بالرهبنة. بالإضافة إلى ذلك، كانت البقوليات مثل الترمس والعدس جزءاً أساسياً من طعام الرهبان. وكان الأنبا أنطونيوس يقدم العدس لضيوفه، بينما كان الأنبا مقاريوس يتناوله بعد نقعه في الماء. كما كانت مائدة الأنبا باخوميوس تضم العدس، مما يعكس كيف أن هذه

---

[1] Gallimore, S., "Amphora Production in the Roman World: A View from the Papyri", *Bulletin of the American Society of Papyrologists*, 47 (2010), pp. 155-184; Wipszycka, "Resources and economic activities of the Egyptian monastic communities (4th–8th century)", pp. 159-263.

ملاك فكري توفيق يوسف، النشاط الاقتصادي للكنائس والأديرة، ص 106 – 110.

[2] هستوريا موناخورم أي التاريخ الرهباني لمصر، ص 87.

[3] Dauphin, "The Diet of the Desert Fathers in Late Antique Egypt", pp. 39 – 63.

فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 1، ص 437؛ فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 2، ص 262 – 263؛ هستوريا موناخورم أي التاريخ الرهباني، ص 101، 109، 113، 144، 162؛ بلاديوس التاريخ اللاوسي، النصوص المسيحية في العصور الأولى، ص 378؛ عزيز سوريال عطية، نشأة الرهبنة المسيحية في مصر، ص 17؛ متى المسكين، الرهبنة القبطية، ص 196 – 197؛ ايريس حبيب المصرى، قصة الكنيسة القبطية، ص 438، ص 441، ص 442.

الأطعمة كانت جزءاً أساسياً من النظام الغذائي الرهباني البسيط[1]. ومن بين المحاصيل المهمة التي زُرعت كانت الكروم، التي كانت تُعد من المحاصيل النقدية الأساسية. وقد أدت هذه الزراعة إلى نشوء صناعة النبيذ داخل الأديرة، حيث كان الرهبان يشربونه ويبيعونه. وقد قامت بعض الأديرة بإنشاء معاصر للنبيذ في أراضيها المزروعة بالكروم، وحرص بعضها على تأجير هذه المعاصر للتجار مقابل نسبة من الإنتاج[2].

وفر الريف المجاور للرهبان فرصة للعمل في الحقول القريبة من الدير خلال مواسم الحصاد المختلفة، وكان يُمارس عادةً في مجموعات من الرهبان لتخفيف وطأة "الانقطاع"، الذي يُعرّض الرهبان لإغراءاتٍ تُجبرهم على إخضاع أنفسهم لاحقًا لمزيد من التمارين الزهدية. وكانوا يتقاضون أجرهم من نفس المحصول الذي يحصدونه. وكان موسم حصاد القمح من أهم الفترات التي عملوا فيها، مما ساعدهم على تأمين طعامهم وتلبية احتياجاتهم الأساسية[3]. كما اهتم الرهبان بتربية الحيوانات بمختلف أنواعها. رغم أنه لم يكن الرهبان يأكلون اللحوم، فقد اتفقت معظم القواعد الرهبانية على البعد عنها، إلا في بعض الأعياد، ولكن كانوا بحاجة إلى الصوف والجلود لعمليات التصنيع، وكان من الممكن بيع اللحوم أو إهدائها للفقراء[4]. كذلك اهتموا بتربية النحل، حيث أشارت وثيقة من القرن السابع إلى امتلاك

---

[1] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـــ 2، ص 291 – 192؛ بلاديوس التاريخ اللاوسي، النصوص المسيحية في العصور الأولى، ص 356؛ بنتلي اليتون، قوانين آبائنا، ص 352؛ أشعياء ميخائيل بباوي، حياة الشركة الباخومية، ص 77 – 78؛ ملاك فكري توفيق يوسف، النشاط الاقتصادي للكنائس والأديرة، ص 97.

[2] *P. Cairo Masp.* 2, 67168; Wipszycka, "Resources and economic activities of the Egyptian monastic communities (4th–8th century)", pp. 159-263.

بلاديوس التاريخ اللاوسي، النصوص المسيحية في العصور الأولى، ص 356؛ متى المسكين، القديس أنطونيوس ناسك إنجيلي، دار القديس أنبا مقار، وادي النطرون، ط 3، 1985م، ص 52 – 53؛ ايريس حبيب المصرى، قصة الكنيسة القبطية، ص 438، ص 441، 442؛ ملاك فكري توفيق يوسف، النشاط الاقتصادي للكنائس والأديرة، ص 97 – 98.

[3] Wipszycka, "Resources and economic activities of the Egyptian monastic communities (4th–8th century)", pp. 159-263.

فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـــ 1، ص 499؛ هستوريا موناخورم أي التاريخ الرهباني لمصر، ص 40؛ إيفيلين هوايت، تاريخ الرهبنة القبطية في الصحراء الغربية، ص 64، 69، 76؛ كميل عزيز صليب، "أمون أب رهبان جبل نيتريا"، ص 327 – 349.

[4] Pachomian Koinonia 1981. ll: Pachomian Chronicles and Rules, trans. with intro. by Armand Veilleux, Cistercian Studies Series, 46, Kalamazoo, Michigan: Cistercian Publications Ins., p. 156; Wipszycka, "Resources and economic activities of the Egyptian monastic communities (4th–8th century)", pp. 159-263.

فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـــ 2، ص 20، ص 36، ص 244؛ بلاديوس التاريخ اللاوسي، النصوص المسيحية في العصور الأولى، ص 421؛ متى المسكين، القديس أنطونيوس، ص 343.

دير الأنبا أبولو عدداً كبيراً من الخلايا. وفي إحدى الحالات، قام الدير بتأجير 214 خلية لأحد النحالين، مما وفّر مصدر دخل إضافي[1]. وعادة ما كان ينظر الى الزراعة على أنها حرفة مشتتة لأذهان الذين يمارسونها[2]، فهي والتأمل لا يتفقان[3]. فينبغي أن يتم عمل الراهب بعيدًا عن العالم الخارجي، في مكان ممارسة الزهد (صومعته). وإن كان الاتصال بـــالعالم الخارجي أمرًا لا مفر منه، فيجب أن يكون محدودًا إلى أدنى حد. فالعمل في الحقول بعيداً عن الصومعة، يُضعف ارتباط الراهب بموقعه الصحيح ويُشكّل تهديدات[4].

واجه الرهبان الذين عاشوا في الصحراء تحديات كبيرة في تأمين احتياجاتهم الغذائية للبقاء على قيد الحياة، الأمر الذي دفعهم إلى الاعتماد على الزراعة كأحد أهم السبل لتوفير ما يلزمهم من المحاصيل الضرورية[5]. فقد بدأ الأنبا أنطونيوس – أبو الرهبان – حياته في العزلة معتمدًا على الخبز الجاف الذي كان يُرسل إليه، بالإضافة إلى ثمار النخيل المنتشرة في محيطه. ومع مرور الوقت، اتجه إلى زراعة بعض المحاصيل الأساسية، مثل القمح، مستخدمًا أدوات زراعية بسيطة كالفأس والمنجل لمساعدته في ذلك. وقد استمر في تطوير هذه الممارسات الزراعية لضمان توافر الغذاء، فقام بزراعة كميات صغيرة من الخضروات إلى جانب القمح. ومع ازدياد عدد الرهبان الذين انضموا إليه، أصبحت الزراعة عنصراً أساسياً في حياتهم لتوفير احتياجاتهم الغذائية. فيذكر أن دير الأنبا أنطونيوس كان يحتوي على أراضٍ زراعية تُستخدم لهذا الغرض[6]. كذلك بدأ الأنبا باخوميوس، مؤسس نظام الشركة الرهباني، حياته معتمدًا في غذائه على ثمار النخيل، كما خصص جزءًا من وقته لزراعة بعض الخضروات. ومع مرور الوقت، التحق بشيخه بلامون، حيث تعلّم منه أهمية العمل الزراعي كوسيلة للاكتفاء الذاتي. ومن خلال إرشادات معلمه، بدأ في تنظيم العمل الزراعي داخل

---

[1] *P. Mon. Apollo*: Papyri Monasterii Apa Apollonos, 1, No 50, ed. Yehudah Nevo et al., 2000. Sammelbuch Koptischer Urkunden [*SB Kopt.*] 1.52. 1993. Heidelberger Gesamtverzeichnis der griechischen Papyrusurkunden Ägyptens (HGV) *P. Mon. Apollo* 1 50. Trismegistos 87797. http://papyri.info/ddbdp/p.mon.apollo;1;50

[2] إيفيلين هوايت، تاريخ الرهبنة القبطية في الصحراء الغربية، ص 182.

[3] إيفيلين هوايت، تاريخ الرهبنة القبطية في الصحراء الغربية، ص 77.

[4] Wipszycka, "Resources and economic activities of the Egyptian monastic communities (4th–8th century)", pp. 159-263.

[5] Dauphin, "The Diet of the Desert Fathers in Late Antique Egypt", pp. 39 – 63.

فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـــ 1، ص 499؛ ايريس حبيب المصرى، قصة الكنيسة القبطية، ص 438، 441 – 442.

[6] Wipszycka, "Resources and economic activities of the Egyptian monastic communities (4th–8th century)", pp. 200-202.

فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـــ 1، ص 499؛ هستوريا موناخورم أي التاريخ الرهباني لمصر، ص 40.

مجتمعه الرهباني بطريقة أكثر منهجية[1]. مما أسهم في توفير الغذاء للرهبان وتعزيز نظام الحياة المشتركة في أديرته.

لم يكن النشاط الزراعي في الأديرة مقتصرًا على توفير الطعام فحسب، بل كان جزءًا أساسيًا من القوانين الديرية التي حرصت على ترسيخ مبدأ العمل والاعتماد على الذات بين الرهبان. وقد أكدت قوانين باخوميوس على هذا الجانب، حيث تضمنت توجيهات واضحة تمنع الرهبان من أكل سنابل القمح أو العنب قبل أن تنضج، كما حظرت تناول أي محصول من الحقول دون إذن البستاني المسؤول. بالإضافة إلى ذلك، شددت القوانين على ضرورة توزيع الخضروات بكميات محددة خلال فترات الصيام الطويلة، لضمان توفير الغذاء بطريقة منظمة وعادلة بين أفراد الجماعة الرهبانية. دفعت الحاجة إلى توفير الخضروات في منطقة نيتريا الرهبان أيضاً إلى استغلال المساحات المتوفرة لزراعة المحاصيل، بين قلاليهم[2]. وقد أشار الرهبان السبعة[3] إلى أن الأب آبا أور Abba Or قام بزراعة مختلف أنواع النباتات والأشجار، في حين اهتم كوبرس Copres بزراعة أشجار الفاكهة والنخيل. وكان الرهبان يأخذون زوارهم في جولات داخل الأديرة لمشاهدة هذه المزروعات التي غرسوها بأنفسهم، مما يعكس مدى اهتمامهم بالزراعة كوسيلة لتأمين الغذاء وتحقيق الاكتفاء الذاتي[4]. أما في دير الأنبا شنودة فقد أشارت بعض المصادر التاريخية إلى ممارسة الرهبان للزراعة، حيث تمت زراعة الخضروات والفواكه لتلبية احتياجاتهم الغذائية. وقد أولى الدير اهتمامًا خاصًا بهذا الجانب، حيث تم تخصيص رهبان محددين للإشراف على الحدائق والعناية بها، وذلك وفقًا لما ورد في قوانين الأنبا شنودة، والتي نظمت مسؤوليات الرهبان لضمان استدامة

---

[1] Rousseau, *Pachomius: The Making of a Community in Fourth-Century Egypt*, pp. 57 – 87.

عزيز سوريال عطية، نشأة الرهبنة المسيحية في مصر، ص 20

[2] Rousseau, *Pachomius: The Making of a Community in Fourth-Century Egypt*, pp. 57 – 87.

متى المسكين، القديس أنطونيوس، ص 82.

[3] رهبان جاءوا من فلسطين عام 394 – 395م إلى مصر لزيارة النساك في الصحاري المصرية والتعليم على ايديهم. انظر: هستوريا موناخورم أي التاريخ الرهباني لمصر، ص 8 – 9.

[4] Amelineau (ed.), Vie de Schnoudi (traduite de l'arabe). in Memoires publiés par les membres de la mission archéologique française au Caire (1885 - 1886), tome 4, Paris (1888), pp. 408 – 453; Dauphin, "The Diet of the Desert Fathers in Late Antique Egypt", pp. 39 – 63.

فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 2، ص 18؛ هستوريا موناخورم أي التاريخ الرهباني لمصر، ص 87.

الموارد الزراعية داخل الدير[1]. وتُظهر أدلة من برديات متنوعة مشاركة واسعة للرهبان في الأعمال الزراعية، وتؤكد على أن الأديرة كانت تمتلك بعض الأراضي الزراعية وتقوم بتأجرها للمزارعين المجاورين لها[2].

لم يقتصر اعتماد الرهبان على الإنتاج الزراعي فحسب، بل لجأوا أيضًا إلى شراء الحبوب والمواد الغذائية من الأسواق. وكان الأنبا باخوميوس يرسل بعض الرهبان إلى القرى المجاورة لشراء القمح عند الضرورة[3]. بالإضافة إلى مشاركتهم في أعمال الحصاد خلال الموسم لتعزيز مخزونهم من المحاصيل وتوفير احتياجاتهم الغذائية[4]. ولم تقتصر هذه الجهود على تأمين معيشتهم فحسب، بل حرصوا أيضًا على توزيع الصدقات وتقديم المساعدات الغذائية للفقراء والمحتاجين، تجسيدًا لقيمهم الروحية.

كذلك كانت صناعة الزيت في مصر من الصناعات الحيوية التي احتلت مكانة كبيرة، وقد كان لها دور محوري في الحياة اليومية، كانت الأديرة في مصر البيزنطية، خاصة الأديرة الباخومية، تعتمد بشكل أساسي على الزيت كمصدر رئيسي للغذاء. لم يكن الزيت يُستخدم فقط في الطهي، بل كان له دور مهم في الطقوس اليومية والاحتفالات الدينية والاجتماعية، مما جعله جزءاً لا يتجزأ من نمط الحياة اليومية في تلك الفترة. كان الرهبان يعتمدون على مختلف أنواع الزيوت مثل زيت الزيتون، زيت الكتان، زيت السمسم، وزيت الفجل ضمن طعامهم اليومي. كان الزيت يشكل جزءًا أساسيًا في النظام الغذائي في الأديرة الباخومية، خاصة أثناء فترات الصوم، حيث كانت كميات كبيرة من الزيت تُستهلك في تحضير الطعام. ومع ذلك، كان هناك تفاوت في استخدام الزيوت بين الأديرة، حيث كان البعض منها يعتبر الزيوت الفاخرة رفاهية ترتبط بمظاهر الترف، وهو ما يتناقض مع حياة النسك والتقشف التي يُتوقع أن يعيشها الرهبان[5]. كان الزيت عنصراً أساسياً في حياة الرهبان اليومية، وخاصة

---

[1] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 2، ص 377؛ هستوريا موناخورم أي التاريخ الرهباني، ص 24؛ بنتلي اليتون، قوانين آبائنا، ص 201؛ ليلي عبد الجواد اسماعيل، القديس شنودة الاخميني، ص ٩ – ٥٨.

[2] *P. Cair. Masp*. 2, 67138; *P. Cair. Masp*. 3, 67307; *P. Lond*. 5 1694; SB 6, 9461.

[3] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 2، ص 20؛ أشعياء ميخائيل بباوي، حياة الشركة الباخومية، ص 120–121.

[4] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 1، ص 499؛ هستوريا موناخورم أي التاريخ الرهباني لمصر، ص 40؛ كميل عزيز صليب، "أمون أب رهبان جبل نيتريا"، ص 327 – 349.

[5] Wipszycka, "Resources and economic activities of the Egyptian monastic communities (4th–8th century)", pp. 159-263.

خلال فترات الصوم، حيث اعتمدوا عليه بشكل رئيسي كجزء من نظامهم الغذائي. لم يكن الزيت يقتصر فقط على الطهي، بل كان أيضًا جزءاً من الاحتفالات والولائم التي كانت تُنظم داخل الأديرة. على سبيل المثال، في الأديرة الباخومية، كان يتم استهلاك حوالي أربعين جالوناً من الزيت شهرياً، ما يعكس أهمية الزيت الكبيرة في حياتهم الروحية والغذائية. كما أن بعض الأديرة مثل أديرة وادي النطرون كانت تعتمد على كميات كبيرة من الزيت لتحضير الوجبات، مما يوضح المكانة البارزة التي كان يشغلها الزيت في النظام الغذائي للرهبان[1]. كان يُعد استخدام الزيت في الطعام نوعًا من الترف، مما يتناقض مع أسلوب الحياة الرهبانية التي تقوم على التقشف والنسك[2]. يذكر أن إيفاجريوس البنطي Evagrius Ponticus كان يستهلك حوالي نصف كيلوغرام من الزيت فقط كل ثلاثة أشهر، مما يعكس مدى التقشف والاعتدال في نظامه الغذائي. كان إيفاجريوس مثالًا حيًا للرهبان الذين التزموا بمبادئ الزهد والاقتصاد في الطعام، حيث كان يعتمد على البساطة والابتعاد عن الترف في حياتهم اليومية، وهو ما يعكس القيم الروحية التي كانت سائدة بين الرهبان في تلك الحقبة[3]. وعلى الرغم من أن بعض الرهبان استخدموا الزيت بشكل محدود، فإن العديد من قوانين الرهبنة كانت تشدد على ضرورة تقليص استخدامه. على سبيل المثال، حظر الأنبا شنودة في قوانينه إضافة الزيت إلى أي وجبة طعام تُقدّم للرهبان، حتى لأولئك المرضى منهم. حيث كان يشترط تقديم الزيت بكميات محدودة للغاية فقط، وذلك في إطار سعيه للحفاظ على تقاليد الزهد والتقشف التي كانت سائدة في حياة الرهبان[4]. كانت الكنائس والأديرة المصرية في العصر البيزنطى تمتلك معاصر للزيت، فتشير إحدى الوثائق إلى ذلك[5].

فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 2، ص 20؛ هستوريا موناخورم أي التاريخ الرهباني لمصر، ص 40؛ عزيز سوريال عطية، نشأة الرهبنة المسيحية في مصر، ص 20؛ أشعياء ميخائيل بباوي، حياة الشركة الباخومية، ص 28 – 29.

[1] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 1، ص 715؛ بستان الرهبان، إعداد الأنبا إيفانوس، دير القديس أنبا مقار برية شيهيت، ط. ٤، ٢٠١٨م، ص 206؛ متى المسكين، الرهبنة القبطية، ص 363.

[2] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 1، ص 715؛ بستان الرهبان، إعداد الأنبا إيفانوس، دير القديس أنبا مقار برية شيهيت، ط. ٤، ٢٠١٨م، ص 206؛ متى المسكين، الرهبنة القبطية، ص 363.

[3] بلاديوس التاريخ اللاوسي، النصوص المسيحية في العصور الأولى، ص 442 – 443؛ إيفيلين هوايت، تاريخ الرهبنة القبطية في الصحراء الغربية، ص 100؛ متى المسكين، الرهبنة القبطية، ص 363.

[4] بنتلي اليتون، قوانين آبائنا، ص 200؛ ليلي عبد الجواد اسماعيل، القديس شنودة الاخميني، ص ٩ – ٥٨.

[5] *P. Flor.* : Papiri Fiorentini. Band III, no. 285. Herausgegeben von Girolamo Vitelli, 1915. http://papyri.info/ddbdp/p.flor;3;285

كان إعداد الطعام يتم بشكل جماعي، مما يعزز روح التعاون والتضامن بين الرهبان. لقد شكّل الخبز جزءًا أساسيًا من النظام الغذائي للرهبان، حيث كان الغذاء الرئيسي في وجباتهم اليومية، وخاصة في التجمعات الجماعية. لم يقتصر دوره على كونه مصدرًا للكربوهيدرات المعقدة التي توفر الطاقة وتزيد من الإحساس بالشبع، بل كان إنتاجه أيضًا جزءًا من العمل اليدوي داخل الأديرة. اعتمد الرهبان على تصنيع أنواع مختلفة منه، مثل الطازج، والمجفف (البقسماط) الذي يُخزن لفترات طويلة، بالإضافة إلى أنواع مخصصة للمرضى وأخرى تُعد في الأفران بطرق تقليدية، مما يعكس أهمية الخبز في حياتهم الغذائية والعملية[1]. وكان يتم خبزه في أفران داخل الدير. وكان يستخدم في العمل فيها عدد من الرهبان[2]. كذلك كان من المعتاد أن يشترك الرهبان في اجتماعاتهم في نهاية الاسبوع في طعام مطبوخ، كان يعد في مطبخ الدير بواسطة بعض الرهبان[3]. كانت هناك قوانين وأنظمة تنظم إعداد الطعام في الأديرة، حيث كانت تحدد أنواع الأطعمة المسموح بها وكمياتها. كانت هذه القوانين تهدف إلى ضمان التقشف والتوازن في وجبات الرهبان. كانت القواعد الديرية ملزمة للرهبان بتحضير الطعام بعناية واحترام شديد، مع تجنب الضوضاء أو الإهمال أثناءالقيام بذلك. فكان يُطلب منهم الصمت والتركيز على العمل والالتزام بالتعاليم الدينية أثناء العمل، مثل الاستماع إلى تلاوة الكتاب المقدس[4]. إن التوازن بين العمل اليدوي والتعبد في الحياة الرهبانية هو أمر بالغ الأهمية، فالحرف يجب أن تكون وسيلة لتعزيز العلاقة مع الله دون أن تصبح مصدرًا

---

[1] Wipszycka, "Resources and economic activities of the Egyptian monastic communities (4th–8th century)", pp. 159-263; Hansen, B., "Bread in the Desert: the Politics and Practicalities of Food in Early Egyptian Monasticism", *Church History*, 90 (2021), pp. 286-303.

فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـــ 1، ص 481، ج 2، ص 20، 78؛ هستوريا موناخورم أي التاريخ الرهباني لمصر، ص 144، 162؛ متى المسكين، الرهبنة القبطية، ص 360 – 362.

[2] Wipszycka, "Resources and economic activities of the Egyptian monastic communities (4th–8th century)", pp. 159-263.

الانبا شنودة رئيس المتوحدين، الجزء الاول، سيرته عظاته قوانينه سلسلة النصوص المسيحية في العصور الاولى، ترجمة وتقديم: صموئيل قزمان معوض، مركز باناريون للتراث الآبائي، طبعة أولى، القاهرة، 2009م، ص 414؛ إيفيلين هوايت، تاريخ الرهبنة القبطية في الصحراء الغربية، ص 80.

[3] إيفيلين هوايت، تاريخ الرهبنة القبطية في الصحراء الغربية، ص 63، ص 80.

[4] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـــ 2، ص 715؛ الأنبا شنودة رئيس المتوحدين، الجزء الاول، سيرته عظاته قوانينه سلسلة النصوص المسيحية في العصور الاولى، ترجمة وتقديم: صموئيل قزمان معوض، مركز باناريون للتراث الآبائي، طبعة أولى، القاهرة، 2009م، ص 444؛ أشعياء ميخائيل بباوي، حياة الشركة الباخومية، ص 62 – 66.

للإلهاء. كما نصت قوانين الأنبا شنودة على ضرورة عدم إهدار الحطب أثناء إشعال الفرن لضمان الحفاظ على الموارد وتجنب الإسراف[1].

عمل الرهبان المتعلمون في مجال الكتابة ونسخ نصوص الكتاب المقدس، مما أسهم بشكل كبير في إحياء الحركة العلمية والدينية. وكان هذا العمل واحداً من أهم الأعمال اليدوية التي قام بها الرهبان في الشرق والغرب خلال العصور الوسطى. لذلك، كان الكتاب والنساخ من الرهبان يشكلون طائفة مهمة في الأديرة المصرية، وخاصة في الأديرة الباخومية، حيث لعبوا دورًا بارزاً في الحفاظ على التراث الديني والعلمي ونقله للأجيال القادمة[2]. كان رهبان نيتريا يؤدون دورًا مهمًا في نسخ الكتب الدينية بأنفسهم، لم يقتصر عملهم هذا على تلبية احتياجاتهم فحسب، بل كانوا يبيعون بعض النسخ في الأسواق لتلبية احتياجات البيئة المحلية[3]. أما رهبان الإسقيط وكيليا، فقد نشطوا بشكل خاص في هذا المجال، وأسهموا في الحركة العلمية الدينية، فمن خلال نسخ الكتب أسهموا في نشر الفكر الرهباني. شكل النساخ طائفة مهمة في الأديرة الباخومية، التي كانت بمثابة مراكز إنتاجية لأوراق البردي، سواء كانت مكتوبة أو جاهزة للكتابة. وقد شارك الرهبان المتعلمون في نسخ النصوص الدينية والنصوص الأخرى، إما لاستخدامهم الشخصي أو لتلبية طلبات الآخرين. كانت هذه النصوص تشمل مواعظ القديسين وتعاليم المسيحية، بالإضافة إلى وثائق تاريخية ودينية. وباع بعض الرهبان نسخهم في الأسواق لتكون في متناول الشعب أو قدموها لرؤساء الأديرة أو وزعوها على الكنائس الفقيرة. والجدير بالذكر أن عملية نسخ كتاب واحد كانت تتطلب وقتًا طويلًا، لكن بعض الأديرة كانت قادرة على نسخ كميات كبيرة من الكتب في وقت قياسي. كان الرهبان يتولون مسؤولية إنتاج هذه الكتب المجلدة. وقد تم العثور على قوائم كتب في أرشيف دير أبيفانيوس التي تسجل الكتب التي تم نسخها أو بيعها، مما يدل على نشاط الأديرة المستمر في نسخ وتجليد وبيع الكتب[4]. كان دير الأنبا مقار معروفًا بامتلاكه مجموعة من النساخ الماهرين في

---

[1] بنتلي اليتون، قوانين آبائنا، ص 60؛ ليلي عبد الجواد اسماعيل، القديس شنودة الاخميني، ص ٩ – ٥٨.

[2] Kotsifou, C., "Books and Book Production in the Monastic Communities of Byzantine Egypt," in W. E. Klingshrin and L. Safran (eds.), *The Early Christian Book*, Washington, The Catholic University in America Press, 2007, pp. 48-66; Wipszycka, "Resources and economic activities of the Egyptian monastic communities (4th–8th century)", pp. 159-263.

هستوريا موناخورم أي التاريخ الرهباني لمصر، ص 40.

[3] حكيم أمين، دراسات فى تاريخ الرهبنة والديرية المصرية، ص 184.

[4] *P. Mon. Epiph. Coptic*., 380 (p. 254); Kotsifou, "Books and Book Production in the Monastic Communities of Byzantine Egypt, pp. 48-66; Wipszycka, "Resources and economic activities of the Egyptian monastic communities (4th–8th century)", pp. 159-263.

نسخ الخطين القبطي والعربي، وكانوا يتميزون بتصميم الحروف القبطية بطريقة فنية رائعة، حيث كانوا يرسمون الحروف على شكل طيور جميلة، مما أضاف لمسة فنية مميزة لعملهم. استخدم الرهبان أقلامًا مصنوعة من البوص الرفيع المدبب والمشقوق في الكتابة، حيث كانوا يدونون نصوصهم على أوراق البردي، والشقافات الفخارية، وجلود الحيوانات، معتمدين على هذه المواد المتاحة آنذاك في تسجيل المخطوطات والنصوص الدينية[1]. كان ذلك العمل يستغرق وقتًا طويلًا ويتطلب شراء ورق بردي باهظ الثمن أو حتى رقًا أغلى ثمنًا. لذلك، كان نسخ المخطوطات لعملاء محتملين مجهولين محفوفًا بمخاطر كبيرة. لذلك نجد أن ناسخي نيتريا وكيليا والإسقيط قد أقدموا على هذه المخاطرة، حيث كانت الإسكندرية قريبة نسبيًا منهم، وهي مصدرًا للزوار الأتقياء والأثرياء. إذ كان شراء مخطوطة بقصد إهدائها إلى كنيسة أو دير عملاً تقيًا شائعًا[2]. تُظهر هذه الأنشطة كيف أسهمت الأديرة في مصر البيزنطية بشكل كبير في حفظ وتوزيع المعرفة، حيث كان الرهبان ينسخون الكتب ويبيعونها أو يوزعونها على الكنائس الفقيرة، مما ساعد في نشر الثقافة الدينية وتعزيز الوصول إليها. كما تبرز مهارات النساخ في الأديرة، مثل دير الأنبا مقار، في نسخ الخطوط القبطية والعربية بتصميمات فنية مبتكرة، مما يعكس المستوى الفني العالي والاهتمام بالتفاصيل في عملهم.

بالاضافة إلى الحرف السابقة ظهرت داخل الأديرة مجموعة أخرى من الحرف. لقد كانت الأحذية من بين المنتجات التي أنتجتها الأديرة الباخومية، حيث كانت تباع بأسعار منخفضة. فكانت توجد مدبغة خاصة بالجلود وكذلك ورشة للأحذية داخل الأديرة الباخومية. وكان نساك الأديرة التابعة للأنبا شنودة يمارسون أيضاً هذه الحرفة. بالإضافة إلى ذلك، كان رهبان الأديرة عموماً يقومون بصباغة السروج والمنتجات الجلدية الأخرى ويبيعونها للناس[3]. كذلك احتاجت الكنائس والأديرة إلى نجارين لتلبية احتياجاتها، سواء في الأعمال الإنشائية أو في أعمال الصيانة الدورية للمباني. وقد شارك رجال الدين والرهبان في ممارسة هذه الحرفة لتلبية تلك الاحتياجات. ويذكر الرحالة بلاديوس أنه عندما زار مدينة إخميم، اكتشف وجود

حكيم أمين، دراسات فى تاريخ الرهبنة والديرية المصرية، ص 184 – 185؛ ملاك فكري توفيق يوسف، النشاط الاقتصادي للكنائس والأديرة، ص 128 – 130.

[1] Kotsifou, "Books and Book Production in the Monastic Communities of Byzantine Egypt," pp. 48-66.

كميل عزيز صليب، "أمون أب رهبان جبل نيتريا"، ص 327 – 349.

[2] Wipszycka, "Resources and economic activities of the Egyptian monastic communities (4th–8th century)", pp. 159-263.

[3] Goehring, J. E., Ascetics, Society, and the Desert: Studies in Early Egyptian Monasticism, Studies in Antiquity and Christianity, Harrisburg, PA, Trinity Press International, 1999, p. 48.

ملاك فكري توفيق يوسف، النشاط الاقتصادي للكنائس والأديرة، ص 131 – 132.

أربعة نجارين يعملون في دير واحد. كما يشير إلى العمل في ورشة النجارة في الأديرة، مما يعكس أهمية هذه المهنة في الحياة اليومية للرهبان. وفي سياق آخر، هناك إشارات إلى وجود "بيت مخصص للنجارين" ضمن القوانين الباخومية، مما يدل على التنظيم المهني والاهتمام بتوفير مكان مخصص لهذه الحرفة داخل الأديرة[1]. بالاضافة إلى ذلك تولى بعض الرهبان في الكنائس والأديرة مهمة إصلاح وصيانة الأبنية، حيث كانوا يشرفون على الحفاظ على الهياكل المعمارية للمؤسسات الدينية وضمان استدامتها. وقد شملت هذه المهام أعمال الصيانة الدورية والترميمات اللازمة، مما ساعد على الحفاظ على الأماكن المقدسة في حالة جيدة لتمكين الرهبان والمجتمع من مواصلة العبادة والتعليم[2]. في الحياة الرهبانية في مصر، كان بناء المسكن جزءًا أساسيًا، حيث قام الرهبان ببناء الكنائس والصوامع لتلبية احتياجاتهم. على سبيل المثال، أقام مجموعة من الأفراد – بناءً على طلب الرهبان – كنيسة بسيطة مزودة بالأعمدة والبلاط، واستمر ذلك حتى أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس عندما بدأ الرهبان ببناء الصوامع بأنفسهم[3]. كان رهبان الصحراء الأوائل يسكنون صوامع من الطوب اللبن، وكانوا قادرين على إنهاء بناء صومعة في يوم واحد لاستقبال الوافدين الجدد. كما قام بعض الرهبان، مثل أمون، ببناء صومعتين مقببتين في الجبال، وزادت الحاجة في جبل نيتريا لبناء قلالي جديدة مع تزايد أعداد الرهبان[4]. كما بنى مقاريوس الكبير أربعة صوامع في مناطق مختلفة من الصحراء. وعندما وصل راهب جديد، كان رئيس الجماعة يطلب من الرهبان مساعدته في بناء مسكنه، حيث يتم تقسيم العمل بين الجميع[5].

كذلك عمل بعض الرهبان في مهنة الطب، كما كان الحال في أديرة نيتريا ودير إبيفانيوس(بالقرب من الأقصر)، بالإضافة إلى الدير الأبيض حيث استضاف شنودة الأتريبي حوالي عشرين ألفًا من اللاجئين واعتنى جرحاهم سبعة أطباء. وعلى الرغم من عدم وضوح

---

[1] Rousseau, *Pachomius: The Making of a Community in Fourth-Century Egypt*, p.185.
فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 2، ص 189 – 194؛ ملاك فكري توفيق يوسف، النشاط الاقتصادي للكنائس والأديرة، ص 125 – 127.

[2] ملاك فكري توفيق يوسف، النشاط الاقتصادي للكنائس والأديرة، ص 125 – 127.

[3] هستوريا موناخورم أي التاريخ الرهباني لمصر، ص 78-79.

[4] هستوريا موناخورم أي التاريخ الرهباني لمصر، ص78-79.

[5] Goehring, Ascetics, Society, and the Desert, 1999, p. 46.
فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 1، ص 318؛ هستوريا موناخورم أي التاريخ الرهباني لمصر، ص 24.

ما إذا كان جميع هؤلاء الأطباء رهبانًا في الدير أم تم استئجارهم لهذا الغرض، إلا أن هذا يظهر تنوع المهارات المهنية التي تواجدت داخل الأديرة[1].

من الجدير بالذكر أن بعض الأديرة المصرية البيزنطية، ولا سيما الكبيرة منها والتي أُنشئت بالقرب من نهر النيل أو فروعه، امتلكت مراكب في النيل والمجاري المائية لنقل المنتجات الزراعية والحرفية، مما سهّل تجارتها مع المناطق البعيدة، نظرًا لاكتفاء القرى المجاورة ذاتيًا من بعض السلع مثل: السلال، والحصائر، والحبال[2]. على الرغم من أن السفن لم تكن جزءًا أساسيًا من الحياة اليومية للرهبان في الأديرة المصرية البيزنطية كما كانت جوانب أخرى، إلا أنها لعبت دورًا هامًا في ربط هذه المراكز الروحانية بالعالم الخارجي عبر نهر النيل.

إن تنوع الحرف اليدوية التي التزم الرهبان بممارستها يعكس دورها الحيوى الذي لعبته في الحياة الرهبانية، فقد وفرت للرهبان الموارد اللازمة لاستمرار مجتمعاتهم بعيداً عن الاعتماد على الخارج. كما عكست هذه الحرف توازناً فريداً بين العمل والتأمل الروحي، حيث مارسها الرهبان بانسجام مع عباداتهم، مما ساعد الأديرة على الاستمرار عبر الأجيال، حتى في المناطق الصحراوية المعزولة التي تندر فيها الموارد الطبيعية[3].

وجدير بالذكر أنه مع زيادة اقبال النساء على الدخول لحياة الديرية في القرن الخامس، حرصت الراهبات على أن تكون حياتهن حافلة بالعمل والإنتاج، رافضات مبدأ التواكل. لذا، انخرطت العديد منهن في أعمال يدوية متنوعة، شملت بيع المنتجات للزوار القاصدين الأديرة للبركة والعلم، بالإضافة إلى طحن الحبوب وخبز العيش. كما امتهنت بعض الراهبات صناعة النسيج، سواء بنسج الكتان على الأنوال أو بحياكة الملابس، وقد تم ذلك في إطار جماعي أو داخل خلوة الراهبة الفردية. ومع ذلك، ونظراً لطبيعة المرأة لم يُسمح للراهبات بالقيام بالأعمال البدنية الشاقة التي كان يمارسها الرهبان في الحقول من زراعة وحصاد، أو بعض الحرف اليدوية كالنجارة وصناعة الأحذية[4]. ومن ناحية أخرى، في المراحل الأخيرة لتطور

---

[1] ليلي عبد الجواد اسماعيل، القديس شنودة الاخميني، ص ٩ – ٥٨.

[2] *P. Ant*. 2, 94 (6th century); 95 (6th century); *P. Lond*. 3, 1152; Wipszycka, "Resources and economic activities of the Egyptian monastic communities (4th–8th century)", pp. 216-219.

زبيدة محمد عطا، الحياة الاقتصادية في مصر البيزنطية، القاهرة: دار الأمين للنشر والتوزيع، 1994م، ص ص 150 – 154.

[3] بلاديوس التاريخ اللاوسي، النصوص المسيحية في العصور الأولى، ص 89 – 97.

[4] جون لوريمر، تاريخ الكنيسة، ص 149؛ محمد عثمان عبد الجليل، "الرهبنة النسائية في مصر البيزنطية، ص 346 – 379؛ رؤوف حبيب، تاريخ الرهبنة والديرية فى مصر، ص 178.

الرهبنة، وهي مرحلة الشركة، عرفت الرهبانية الأطفال. ففي أديرة باخوميوس، ظهر اهتمام خاص بالأطفال، حيث وُضعت قوانين تؤكد على أهمية تعليم الأطفال مختلف المهن. فكان الأطفال يشاركون الرهبان في جميع الأعمال داخل الدير، سواء في المخبز والمطبخ، أو في الزراعة والبناء، أو حتى في صناعة الخوص وتربية الحيوانات وغيرها. مع الالتزام الكامل بآداب العمل نفسها التي يتبعها الرهبان. تضمنت هذه الآداب ترديد التسابيح أثناء العمل اليدوي، والمحافظة على الهدوء وتجنب الصياح أو الكلام أو الضحك، والعمل بجد ونشاط دون كسل أو إهمال. كما شملت العناية بالعمل وإتمامه على أكمل وجه، والاهتمام بأدوات العمل والحفاظ عليها. هذا الانخراط المبكر في الأعمال الحرفية كان يكسبهم مهارات متنوعة منذ صغرهم، مما يعود عليهم بالنفع في المستقبل، سواء عند انضمامهم إلى جماعة الرهبان في مرحلة الشباب، أو حتى إذا اختاروا مغادرة الدير والعيش في العالم، حيث يمتلكون حينها حرفة تساعدهم على تأمين سبل عيشهم[1].

لقد كان العمل اليدوي جزءاً من حياة كل راهب بغض النظر عن درجته أو مكانته داخل الدير. وقد وضعت قوانين صارمة لتنظيم هذا العمل، بهدف ضمان الاكتفاء الذاتي للدير، والحفاظ على النظام والانضباط، وتكريس وقت كافٍ للعبادة والتأمل. وكان يجب على الجميع الالتزام بالقوانين، حيث كان يُعاقب أي راهب يتجاهل النظام أو يتخلف عن تنفيذ العمل المطلوب. وقد اختلفت تلك القوانين تبعاً لاختلاف الأنظمة الديرية. فقد كانت أديرة وادي النطرون تتبع في نسكها طريقة وسطية بين الانعزالية التامة والحياة الجماعية، وهي نفس النظام الذي أسسه القديس أنطونيوس وسار عليه أتباعه. فالراهب يعيش بمفرده، ويمارس عمل اليدين بمفرده داخل القلاية، ولكنه يلتزم بقوانين عامة للجماعة في الصلاة وكل ترتيباتها وفي الأكل والشرب واللبس وبيع عمل اليدين، ولكن كل فرد يدبر نفسه حسب امكانياته ومواهبه[2]. ومع شروق ضوء النهار كان الراهب يهب نشيطاً؛ ليبدأ عملاً من أعماله اليدوية حتى الظهر، وبعد ذلك يترك للراهب أن يأخذ لنفسه راحة تتناسب مع طبيعته[3]. إلا أن

---

[1] كميل عزيز صليب، العناية بالأطفال بين الأديرة الباخومية والباسيلية: دراسة مقارنة، مجلة كلية الآداب بقنا، مج 18، ع 29، 2009م، ص 120 – 138.

[2] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـــ 1، ص 88؛ هستوريا موناخورم أي التاريخ الرهباني لمصر، ص 226؛ حكيم أمين، دراسات فى تاريخ الرهبنة والديرية المصرية، ص 110؛ متى المسكين، الرهبنة القبطية، ص 315، 358.

[3] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـــ 1، ص 12، 91، 318؛ متى المسكين، الرهبنة القبطية، ص 52 – 53، 359 – 360.

الرهبان – في كثير من الأوقات – دفعوا عن أنفسهم الملل بالعمل لساعات أطول دون التقيد بالمواعيد المحددة لانتهاء العمل[1].

كان العمل اليدوى – خاصة لشباب الرهبان – إجبارياً ولعدد أكبر من الساعات حتى أنهم لم يعفوا من العمل في بعض أعياد القديسين التي كان يمكن إعفاء بعض الرهبان من العمل فيها، لعل هذا بسبب ضرورة شغل أوقاتهم حتى لا تهيمن عليهم الميول والاندفاعات الشبابية[2]. لأن الراهب حينما يبدأ حياته الرهبانية لا تكون له القدرة على قضاء الوقت كله في الصلاة. فخوفاً من أن يقــع فــي فراغ يتلف حياته، يعطيه الدير عملاً يدوياً يعزز فضائل الالتزام والمسؤولية والاعتماد على الذات. وفي بعض الحالات لم يكن العمل اجبارياً، فقد يعفى منه بعض شيوخ الرهبان المنفردين، الذين عاشوا على ما أنتجته جماعات الرهبان.

في البداية كانت المواد المصنعة يتم تصريفها في السوق بواسطة الرهبان أنفسهم. ومع تزايد أعداد الرهبان في الأديرة أصبح من الصعب على الأفراد تصريف منتجاتهم ويشتروا لوازمهم، ومن هنا كانت الحاجة إلى مسئول تسند اليه هذه المهمة. فكان في الأديرة متعهد Steward أو أقنوم Oeconomus يقوم على شئون الرهبان المادية، فيقوم بتصريف منتجات الرهبان وتوفير المشتريات الضرورية لهم[3]. فلم يعد بيع انتاج الرهبان وشراء لوازمهم يتم بصورة فردية، بل كان مخصصاً له جهاز خدمة يقوم بذلك[4]. وكان الرهبان يحملون عملهم اليدوي يوم الأحد من كل أسبوع؛ لتقديمه لرئاستهم، التي تتولى بيعه، وتزودهم بمئونة الأسبوع والخامات اللازمة لعملهم اليدوي بعد نهاية الكنيسة واجتماع الأحد[5].

كان العمل داخل أديرة وادى النطرون ينظم من خلال رئيس الدير الذي يدخل في حسابه حاجة الإخوة. وأيضاً إذا توعك أحدهم، يجب أن يفحص سبب ذلك التوعك، ويعمل على علاجه، بأن يرفع عنه الصوم والعمل، وإذا كان المرض روحياً أكثر من جسدياً، كأن يكون

---

[1] حكيم أمين، دراسات فى تاريخ الرهبنة والديرية المصرية، ص 110.

[2] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـــ 1، ص 726؛ بستان الرهبان، إعداد الأنبا إيفانوس، دير القديس أنبا مقار برية شيهيت، ط. ٤، ٢٠١٨م، ص 100؛ حكيم أمين، دراسات فى تاريخ الرهبنة والديرية المصرية، ص 108.

[3] Wipszycka, "Resources and economic activities of the Egyptian monastic communities (4th–8th century)", pp. 159-263.

فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـــ 2، ص 51؛ إيفيلين هوايت، تاريخ الرهبنة القبطية في الصحراء الغربية، ص 64، 77.

[4] متى المسكين، الرهبنة القبطية، ص 316.

[5] بستان الرهبان، إعداد الأنبا إيفانوس، دير القديس أنبا مقار برية شيهيت، ط. ٤، ٢٠١٨م، ص 65؛ حكيم أمين، دراسات فى تاريخ الرهبنة والديرية المصرية، ص 104، 110.

قد وقع في تجربة، فيجب أن يزيد من انكبابه على العمل، بما أن الرسول يقول عن نفسه أنه قد استعبد جسده. كما يجب الاهتمام بمنع هذا الأخ من أن يمارس إرادته الخاصة. وقال أيضاً: عندما تكون الجماعة كبيرة، فإن الإخوة يتولون الخدمة كل بدوره لمده أسبوع، حسب ما يتراءى للرئيس، الذي يعين أيضاً من يتولى شئون المخابز ويهتم بما يحتاج إليه الإخوة. على أن ينتقي لذلك أحد الإخوة الذين لم يشتهروا بالشراهة في الطعام، ويعرف كيف يوزع على كل شخص ما يحتاج إليه تبعاً لقوانين المحبة الإنجيلية، ويخشى أن يقع في جريمة يهوذا، الذي ينسب إليه الكتاب المقدس تهمه السرقة[1].

وفي أديرة القديس باخوميوس كان الرهبان يعيشون في جماعات يصلون الصلوات المختلفة مجتمعين، وينام كل ثلاثة منهم في قلاية واحدة، وينقسمون في العمل إلى فرق حسب الصناعات والأعمال المختلفة[2]. وكان الرهبان يقيمون في بيوت بحسب الحرفة التي كانوا يمارسونها قبل الرهبنة، فمثلاً كان للخبازين بيت، وللنساجين بيت ولصانعي الفخار بيت[3]. وقد تبع باخوميوس نظاماً أشبه بالنسق العسكري، فقد تمسك بشدة بالطاعة والنظام وتنفيذ القوانين بدقة تامة في مؤسساته[4]. وقد وضع كل عائد عمل أيدي الرهبان في مجمع واحد، تحت سلطة أحدهم وتدبيره، وجعلهم يعيشون عيشة شراكة، وفرض عليهم أن يعملوا بأيديهم لربح الدير، ولكنه ترك الحرية لكل واحد ليشتغل حسب قوته ونشاطه[5]. وقد حددت للعمل اليدوي أوقات خاصة، لا يجوز للراهب أن يتعداها، ولا يقوم بعمل أكثر مما هو مطلوب منه[6]. وأثناء العمل، لا يسمح للرهبان الكلام في أمور دنيوية، بل إمَا يتلون أموراً مقدسة أو يلتزمون السكوت[7]. وفرض الأنبا باخوميوس على كل قلاية نشطة أن تعاون القلاية الأخرى الضعيفة؛ لتمكنها من إنتاج المقدار المطلوب منها، وتقف على قدم المساواة مع غيرها. وكان يتم توزيع العمل على الرهبان يوماً بيوم[8]. وكان يتم تغيير المعيّنين لخدمة الرهبان كل ثلاثة

---

[1] متى المسكين، الرهبنة القبطية، ص 380.

[2] بستان الرهبان، إعداد الأنبا إبيفانوس، دير القديس أنبا مقار برية شيهيت، ط. ٤، ٢٠١٨م، ص 5.

[3] غريغوريوس، الرهبنة القبطية واشهر رجالها، شركة الطباعة المصرية، ٢٠٠٣م، ص 100.

[4] Harmless, *Desert Christians,* pp. 123, 143;
حكيم أمين، دراسات فى تاريخ الرهبنة والديرية المصرية، ص 163.

[5] Drayton, "Pachomius as Discovered in the Worlds of 4th Century Christian Egypt, pp. 156 – 159;
حكيم أمين، دراسات فى تاريخ الرهبنة والديرية المصرية، ص 163.

[6] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 2، ط 1، 2007م، ص 211؛ حكيم أمين، دراسات فى تاريخ الرهبنة والديرية المصرية، ص 109.

[7] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 2، ص 196.

[8] حكيم أمين، دراسات فى تاريخ الرهبنة والديرية المصرية، ص 111.

أسابيع؛ لسببين، الأول: لكي يجني الخادم الجديد الثمار الروحية للخدمة، والثاني: لكي يستريح الخادم الأول، ويرجع إلى سكونه من قلق العمل لبعض الوقت. ثم يحيلهم إلى خدمات أخرى؛ حتى يقوموا بالعمل اليدوي الذي يكلّفهم به مسئول الموضع، حسبما يرى المسئول الأكبر أي أب الدير[1]. وقد ذكر يوحنا كاسيان أن الرهبان المصريين كانوا لا يميلون الى نظام التناوب التبادلي الأسبوعي في الخدمة؛ خوفا من عدم اتقان العمل بسبب تغير القائمين به. ولكن مسئولية المخزن والمطبخ تعطى لأحد الرهبان المشهود لهم، وتظل المسئولية معه من أجل الصالح العام بحسب ما تسمح به صحته أو سنه[2].

وقد اهتم القديس باخوميوس بمبدأ العمل وأعلى من شأنه، وفرضه على كل راهب[3]. واتسم بالشدة والصرامة مع المخالفين، فكان يطرد الراهب الكسول من الدير. وكان يعاقب كل راهب يخرج على النظام، حتى لو كان لهذا الخروج خيراً مادياً للدير[4]. والدليل على هذا ما حدث عندما أهمل أحد الرهبان العمل الذي أنيط به، هو رعاية الديريين وتقديم الطعام لهم، وقام بعمل عدد كبير من الحصر، وكان عددها نحو خمسمائة؛ رغبة في كسب رضى الأنبا باخوميوس، إلا أن باخوميوس – عندما علم بذلك – أصر – بالرغم من هذا الإنتاج الكبير – أن تلقى كل الحصر في النار، حتى أتت عليها جميعاً، على مرأى من كل رهبان الدير، وأوضح لديريه أنه كان ينبغي على هذا الديري أن يطيع الأوامر، وألا ينصرف إلى العمل اليدوي، ويهمل الصلاة ورعاية إخوانه[5]. عندما أرسل باخوميوس وكيل الدير لبيع جدائل الدير مع تحديد الثمن، وعُين له مبلغ محدد، إلا أنه عندما عرض عليه آخرون مبلغاً أعلى، قرر بيعها بالسعر الأعلى. وعندما علم القديس باخوميوس بذلك، وبخه على مخالفة التعليمات وأوصاه بإرجاع الفرق الذي أخذه من الثمن الزائد للشاري. ثم قرر عزله من وظيفته وأمره بتنفيذ أعمال شاقة كعقوبة[6]. يُظهر هذا الموقف أن الهدف لم يكن تحقيق المال بأي ثمن، بل

---

[1] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 2، ص 26.

[2] يوحنا كاسيان، الأنظمة: أنظمة حياة الشركة الديرية وعلاجات الأوجاع الثمانية الرئيسة، النصوص المسيحية في العصور الأولى، ترجمة: بولا ساويرس، مراجعة: عماد موريس إسكندر، مركز باناريون للتراث الآبائي، ط1، القاهرة، 2015، ص 53.

[3] Drayton, "Pachomius as Discovered in the Worlds of 4th Century Christian Egypt, pp. 158 - 159.

[4] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 2، ص 189؛ حكيم أمين، دراسات فى تاريخ الرهبنة والديرية المصرية، ص 5؛ غريغوريوس، الرهبنة القبطية واشهر رجالها، ص 100؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل، تاريخ مصر وحضارتها، ص 89.

[5] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 2، ص 67 – 68؛ حكيم أمين، دراسات فى تاريخ الرهبنة والديرية المصرية، ص 110.

[6] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 2، ص 40 – 50.

كان الحفاظ على انضباط المهام التي تخص الدير. إذ أكد باخوميوس على أهمية الالتزام بالمسؤوليات المقررة دون أي تجاوزات، معتبراً أن تحقيق العدل والنظام داخل الدير هو الأهم.

وضع الأنبا شنودة لأديرته نظاماً ثابتاً، أسوة بما وضعه الأنبا باخوميوس. وكان أصحاب كل حرفة يعملون جميعاً تحت رقابة رئيس مشترك. أما الذين لم يكن لهم خبرة سابقة بعمل معين، فكانوا يضفرون الخوص ويفتلون الحبال من الليف[1]. وكان لكل رئيس دير نائب يساعده في الاشراف على الأعمال اليومية العادية، التي يتطلبها الدير. وكان العمل يسير وفق نظام معين، فعمل الرهبان يبدأ من سماع الناقوس في الصباح، الذي كان بمثابة إشارة البدء في العمل، ويستمر العمل حتى المساء[2]. وقد سن عدة قوانين بشأن العمل داخل الدير، ومنها: غير مسموح لمن يريد أن يصبح راهباً أن يقول: إن العمل الذي من أجله جاء إلى هذا المكان هو دراسة الكتاب المقدس أو تعلم الكتب التي وضعت لنا. أو أن يقول: أنني سأواصل في هذا المكان العمل الذي بدأته في بيتي وأكمله هنا، مالم يصدر له أمر بذلك. وهنا كان يقال له: إذا كنت قد أتيت إلى هذا المكان لتعمل حرفة معينة فقط، ولا تعمل من أجل خلاص نفسك، فأمامك الذي أتيت منه، عد إليه لتمارس حرفتك الأولي. وإذا كنت لا تريد أن تعمل أي عمل سوى ما تعلمته في موطنك، فمن ذا الذي يؤمن بأنك ستترك شئونك الدنيوية والجهل والفساد وسائر الأمور الشريرة؛ لكي تتهذب وتتطهر، وتنقي نفسك، وتعمل كل شيء حسناً، وفق ما تؤمر به، لأن كل من جاء إلى هذا المكان لا يجب أن يعمل حسب إرادته، بل حسب إرادة الرب[3].

وبذلك يمكن القول أن أن العمل اليدوي في الأديرة المصرية البيزنطية لم يكن مجرد نشاط اقتصادي، بل جزءاً أساسياً من الحياة الرهبانية، ووسيلة لتحقيق التقشف والزهد، وتنظيم الحياة اليومية، وتعزيز الحياة الجماعية، والالتزام بالمبادئ النسكية، وتحقيق الاكتفاء الذاتي، مما عزز الاستقلالية والاستقرار داخل المجتمعات الرهبانية. فقد كانت القوانين الرهبانية التي

---

[1] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 1، ص 12، ص 318، ص 379؛ جـ 2، ص 45 – 55؛ حكيم أمين، دراسات فى تاريخ الرهبنة والديرية المصرية، ص 58.

[2] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ 2، ص 45 – 55؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل، تاريخ مصر وحضارتها، ص 99 – 101.

[3] Amelineau (ed.), *Vie de Schnoudi*, pp. 432 – 450.

ليلى عبد الجواد إسماعيل، تاريخ مصر وحضارتها، ص 99 – 101؛ ليلي عبد الجواد اسماعيل، القديس شنودة الاخميني، ص ٩ – ٥٨.

وضعها القديسون تنص على ضرورة العمل اليدوي كجزء من حياة الرهبان، بهدف ضمان حياة بسيطة ومنضبطة، تتماشى مع المبادئ النسكية القائمة على الزهد وعدم التعلق بالماديات. وكذلك بهدف تنظيم الحياة الجماعية داخل الأديرة، من خلال توزيع المهام بناءً على قدرات الرهبان وتجاربهم، وتعزيز التعاون والانضباط. رغم أن العمل اليدوي كان جزءًا أساسيًا من الحياة الرهبانية، كانت القوانين تحرص على أن يظل العمل خادمًا للعبادة، وليس بديلاً عنها. كانت الأديرة تشترط أن يتم العمل في إطار من الانضباط الروحي، بحيث لا يطغى العمل اليدوي على الحياة الروحية. فالرهبان كانوا يؤدون أعمالهم اليدوية في صمت، وفي الوقت نفسه يواصلون تلاوة المزامير أو التأمل الروحي أثناء العمل، مما جعل العمل جزءًا مكملًا لعبادتهم اليومية.

الخاتمة Conclusion :

مما سبق يتضح أن العمل اليدوي شكّل عنصراً أساسياً في الحياة الرهبانية داخل الأديرة المصرية خلال العصر البيزنطي. مما جعل تلك الأديرة تلعب دورًا محوريًا يتجاوز البعد الروحي ليشمل الجوانب الاقتصادية والاجتماعية، حيث لم تكن مجرد أماكن للعبادة والتأمل، بل أصبحت مؤسسات إنتاجية أسهمت في دعم الاقتصاد المحلي. فقد تمكنت الأديرة من أن تصبح مراكز رئيسية للإمداد والتموين، ليس فقط لخدمة رهبانها، بل أيضًا لدعم الفقراء والفلاحين المحيطين بها، مما عزز مكانتها كقوة اقتصادية واجتماعية مؤثرة داخل المجتمع البيزنطي. وقد شكلت القوانين التي حكمت العمل اليدوي في الأديرة المصرية إطاراً متوازناً ضَمن تنظيم الحياة الرهبانية بين العمل الروحي والعمل الجسدي. وقد حقق هذا التوازن الفريد بين العمل والإنتاج من جهة، والالتزام الروحي من جهة أخرى، نموذجاً متكاملاً جعل الأديرة مؤسسات تجمع بين الجوانب الدينية والاقتصادية. ويكشف هذا النموذج عن إمكانية تحقيق تكامل فعال بين الإنتاجية والروحانية، مما يجعله مصدر إلهام لفهم أعمق لدور المؤسسات الدينية في التنمية الاقتصادية والاجتماعية عبر العصور، ويعكس كيف يمكن للمؤسسات ذات الطابع الديني أن تسهم في استقرار المجتمعات من خلال الجمع بين القيم الروحية والتنمية الاقتصادية. بعد استعراض الدراسة نستطيع التوصل إلى عدة نتائج أهمها:

رغم التحديات التي فرضتها البيئة الصحراوية على ممارسة العمل اليدوي داخل الأديرة، ابتكر الرهبان أساليب وتقنيات مكنتهم من الاستفادة القصوى من الموارد المحدودة المتاحة، فقد اعتمدوا على المواد الخام المتاحة في بيئتهم، مثل سعف النخيل، والبردي، والحلفا، مما مكنهم من تطوير حرف تتناسب مع ظروفهم الجغرافية القاسية، وساعدهم على الاستمرار في محيط بيئي قاسي، مثل الصحراء المصرية، وجعل من الأديرة في مصر البيزنطية مركزاً

حضارياً يدمج بين الدين والاقتصاد. وهو أمر يعكس قدرة الكنيسة على التأثير في الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع المصري.

كان النشاط الاقتصادي القائم على الصناعات اليدوية في الأديرة يشكل عنصرًا أساسيًا في تحقيق الاستقلال المالي. فلم تكن الأديرة مجرد مراكز دينية، بل أصبحت كيانات اقتصادية قادرة على الحفاظ على استقرارها المالي، مما ضمن لها الاستمرار عبر العصور رغم التغيرات السياسية والاجتماعية التي شهدتها مصر. كذلك طورت هذه الأديرة طرقاً جديدة للعيش الجماعي والإدارة الداخلية، مما جعلها نموذجًا يحتذى به في العديد من المناطق الأخرى في العالم المسيحي.

كان العمل اليدوي في الأديرة المصربة جزءًا من النظام الرهباني الذي يجمع بين العمل والعبادة؛ مما أدى إلى تكوين نموذج اقتصادي وروحي متكامل. وهو ما ميز المجتمعات الرهبانية في مصر عن نظيراتها في مناطق أخرى. كذلك كان وسيلة لتحقيق العدالة الاجتماعية والتكافل الاجتماعي وفرصة لخدمة المجتمع المحلي. وبفضل العمل اليدوي، استطاعت الأديرة المصرية أن تظل مراكز روحية، ثقافية، واجتماعية قوية، تؤثر في المجتمعات المحيطة بها وتعزز من استدامتها عبر العصور.

سمحت الحرف التقليدية، مثل النسيج وصناعة السلال والحصر، بالجمع بين العبادة والعمل الجسدي في وقت واحد، حيث كان الرهبان يمارسون هذه الحرف أثناء تلاوة المزامير أو أثناء تأملاتهم الروحية. وفي الوقت نفسه، لم تنتشر بعض الحرف مثل أعمال الزراعة بصورة كبيرة بين الرهبان بالصورة التي كانت عليها اعمال اليد الأخرى؛ لأنها كما اتفق الآباء لا تتناسب مع التأمل وهدوء الفكر.

حرصت القوانين التي فرضتها الأديرة على أن يظل العمل خادمًا للعبادة، وليس بديلاً عنها. فكانت الأديرة تشترط أن يتم العمل في إطار من الانضباط الروحي، بحيث لا يطغى العمل اليدوي على الحياة الروحية. فالرهبان كانوا يؤدون أعمالهم اليدوية في صمت، وفي الوقت نفسه يواصلون تلاوة المزامير أو التأمل الروحي أثناء العمل، مما جعل العمل جزءًا مكملًا لعبادتهم اليومية. فقد شكلت تلك القوانين التي حكمت العمل اليدوي في الأديرة المصرية إطارًا متوازناً يضمن تنظيم الحياة الرهبانية بين العمل الروحي والعمل الجسدي.

أسهمت الحرف التقليدية التي كانت تمارس داخل الأديرة مثل: صناعة النسيج، والفخار، والخزف، في الحفاظ على التراث ونقله عبر الأجيال.

الملاحق Appendix

خريطة الأديرة القبطية بالديار المصرية، ويظهر بها المدن والأماكن التالية: الإسكندرية – الإسقيط – كيليا – دير البراموس – دير أنبا بيشوي – دير السريان – دير أبو مقار – بابليون – ممفيس – بحيرة قارون – أرسينوي (الفيوم) – البهنا – دير الميمون – دير أنطونيوس – دير بولا – هرموبوليس (الأشمونين) – ليكوبوليس (أسيوط) – بانوبوليس (أخميم) – شنيت – باباو – طابنسيس – هرمنتس (أرمنت) – لاتوبوليس (إسنا). هذه الخريطة عن موقع الأنبا تكلا:

https://st-takla.org/Gallery/Maps-Countries-Tourism/m/egyptian-coptic-monasteries-map.html

قائمة المصادر والمراجع Bibliography

أولاً: مجموعات الوثائق البردية المنشورة:

- P. Ant. Coptic. No. 94. Letter of Zacharias: Antinoopolis Papyri, Part II. Barns, J. W. B., and H. Zilliacus. Dublin: Royal Irish Academy, 1960. http://papyri.info/ddbdp/p.ant;2;94
- ……. No. 95. Letter: Antinoopolis Papyri, Part II. Barns, J. W. B., and H. Zilliacus. Dublin: Royal Irish Academy, 1960. http://papyri.info/ddbdp/p.ant;2;95
- P. Cairo Masp. 1, 67110: Location d'un atelier, ed. Maspero, Jean; 1911. http://papyri.info/ddbdp/p.cair.masp;1;67110
- ……. 2, 67138, R Fol. I: Compte des dépenses, http://papyri.info/ddbdp/p.cair.masp;2;67138
- ……. 2, 67168: Quittance, ed. Maspero, Jean; 1913. http://papyri.info/ddbdp/p.cair.masp;2;67168
- ……. 3, 67307: Quittance, ed. Maspero, Jean; 1916. http://papyri.info/ddbdp/p.cair.masp;3;67307
- P. Flor. 3, 285: Affitto di un frantoio, ed Vitelli, Girolamo; 1915. http://papyri.info/ddbdp/p.flor;3;285
- P. Lond. 3, 1152: Keiner, eds. Kenyon, Frederic G., and Harold Idris Bell. 1907. http://papyri.info/ddbdp/p.lond;3;1152
- …….. 5, 1694: Lease. Land (métayage), ed. Bell, Harold Idris; 1917. http://papyri.info/ddbdp/p.lond;5;1694
- P. Mon. Apollo: Papyri Monasterii Apa Apollonos, 1, No 50, ed. Yehudah Nevo et al., 2000. Sammelbuch Koptischer Urkunden [SB Kopt.] 1.52. 1993. Heidelberger Gesamtverzeichnis der griechischen Papyrusurkunden Ägyptens (HGV) P. Mon. Apollo 1 50. Trismegistos 87797.
- P. Mon. Epiph. Coptic.: Papyri Monasterii Epiphanii Thebaidis Coptica. Crum, W. E., and H. G. Evelyn White, *The Monastery of Epiphanius at Thebes*, Part II. New York, 1926.
- SB 1, 5320; Hauskauf, ed Preisigke Friedrich; 1915. http://papyri.info/ddbdp/sb;1;5320
- …… 6, 9461: Landpachtvertrag mit einem kirchlichen Gutsverwalter, ed Kiessling, Emil. 1962. http://papyri.info/ddbdp/sb;6;9461
- …… 18, 14062: Quittung über vier Matten, eds Rupprecht, Hans-Albert, and Joachim Hengstl. 1993. https://papyri.info/ddbdp/sb;18;14062
- …… 18, 14063: Quittung über 1 1/2 Paar Seile, eds Rupprecht, Hans-Albert, and Joachim Hengstl. 1993. http://papyri.info/ddbdp/sb;18;14063

- Stud. Pal. (2) 3 104: Quittung über Geldzahlung und Weizenlieferung für eine Töpferei?, ed. Tost, Sven; 2007. http://papyri.info/ddbdp/stud.pal;3 (2).1;104

ثانياً: المصادر الأجنبية:

-Jerome, *Preface the Rules of Saint Pachomius*, trans. with introduction, by Armand Veilleux, In (Pach. Coin). Vol. 2, U.S.A., 1981.

ثالثاً: المصادر العربية والمعربة:

- الكتاب المقدس.
- فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع) أي قصص وتوجيهات آباء البراري القديسين محققة من مصادرها الأصلية، إعداد رهبان بيرية شيهيت، جـ 1، ط 2، 2006م.
- فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع) أي قصص وتوجيهات آباء البراري القديسين محققة من مصادرها الأصلية، إعداد رهبان بيرية شيهيت، جـ 2، ط 1، 2007م.
- هستوريا موناخورم أي التاريخ الرهباني لمصر وصف الرحلة التي قام بها سبعة رهبان من فلسطين لبراري مصر في القرن (٤م)، ترجمة: بولا البراموسى طبعة خاصة للباحثين والمهتمين بالدراسات التاريخية، الناشر: مشروع الكنوز القبطية، ٢٠٠٨م.
- بستان الرهبان، إعداد الأنبا إبيفانوس، دير القديس أنبا مقار برية شيهيت، ط. ٤، ٢٠١٨م.
- يوحنا كاسيان، الأنظمة: أنظمة حياة الشركة الديرية وعلاجات الأوجاع الثمانية الرئيسة، النصوص المسيحية في العصور الأولى، ترجمة: بولا ساويرس، مراجعة: عماد موريس إسكندر، مركز باناريون للتراث الآبائي، ط1، القاهرة، 2015.
- بنتلي اليتون، قوانين آبائنا، القواعد الرهبانيّة للأنبا شنوده رئيس المتوحِّدين، ترجمة موريس وهيب وبيشوي جرجس، الكلية الإكليريكية اللاهوتية للأقباط الأرثوذكس بالأنبا رويس، ط1، القاهرة، 2021م.
- بلاديوس التاريخ اللاوسي، النصوص المسيحية في العصور الأولى، ترجمة: بولا ساويرس مراجعة عماد موريس إسكندر، مركز باناريون للتراث الآبائي، طبعة أولى، القاهرة، ٢٠١٥م.
- الانبا شنودة رئيس المتوحدين، الجزء الاول، سيرته عظاته قوانينه سلسلة النصوص المسيحية في العصور الاولى، ترجمة وتقديم: صموئيل قزمان معوض، مركز باناريون للتراث الآبائي، طبعة أولى، القاهرة، 2009م.

رابعاً: المراجع الأجنبية:

- Amelineau (ed.), Vie de Schnoudi (traduite de l'arabe). in Memoires publiés par les membres de la mission archéologique francaise au Caire (1885 - 1886), t. 4, (Paris 1888).
- Bagnall, R. S., *Egypt in Late Antiquity*, Princeton University Press, 1993.
- Dauphin, C., "The Diet of the Desert Fathers in Late Antique Egypt", *Bulletin of the Anglo-Israel Archaeological Society*, 19-20 (2001–2002), pp. 39 - 63.
- Drayton, J. M., "Pachomius as Discovered in the Worlds of 4th Century Christian Egypt, Pachomian Literature and Pachomian Monasticism: A Figure of History or Hagiography? " Master Thesis, Faculty of Arts, University of Sydney, Australia, 2002.
- El-Fakharani, F., "Recent excavation at Marea in Egypt", in Das Römisch-Byzantinische Ägypten, Akten des intermationalen Symposios, 1983.
- Gallimore, S., "Amphora Production in the Roman World: A View from the Papyri", *Bulletin of the American Society of Papyrologists*, 47, 2010.
- Goehring, J. E., 1999. Ascetics, Society, and the Desert: Studies in Early Egyptian Monasticism, Studies in Antiquity and Christianity, Harrisburg, PA, Trinity Press International, 1999.
- González, J., *Story of Christianity,* Volume 1: *The Early Church to the Reformation.* Harper One, 2010.
- Goswami, A., "Hermit to Cenobitic: A Study of Early Christian Monasticism", *Proceedings of the Indian History Congress* 66, 2006, pp. 1329-1335.
- Hansen, B., "Bread in the Desert: the Politics and Practicalities of Food in Early Egyptian Monasticism", *Church History*, 90, 2021, pp. 286-303.
- Harmless, W., *Desert Christians. An Introduction to the Literature of Early Monasticism*, Oxford, Oxford University Press, 2004.
- Keenan, J. G., "A Constantinople Loan, AD 541", *Bulletin of the American Society of Papyrologists*, 29, 1992, 175-182.
- Kotsifou, C., "Books and Book Production in the Monastic Communities of Byzantine Egypt," In W. E. Klingshrin and L. Safran (Eds.), *The Early Christian Book*, Washington, The Catholic University in America Press, 2007, pp. 48-66.
- Lopez, A. G., *Shenoute of Atripe and the Uses of Poverty: Rural Patronage, Religious Conflict, and Monasticism in Late Antique Egypt.* Transformation of the Classical Heritage Volume 50. Berkeley, University of California Press, 2013.

- Mayer, W., *The Homilies of St. John Chrysostom: Provenance: Reshaping the Foundations*. Pontificio Istituto Orientale, Rome, 2005.
- Meinardus, Otto F.A., *Monks and Monasteries of the Egyptian Deserts*. Cairo, American University in Cairo Press, 1999.
- Montserrat, D., "A List of Monastic Garments from Oxyrhynchus", *The Bulletin of the American Society of Papyrologists*, 1992, pp. 81-84.
- Peacock, D. P. S., *Pottery in the Roman World: An Ethnoarchaeological Approach*. London, Longman, 1982.
- Rousseau, P., *Pachomius: The Making of a Community in Fourth-Century Egypt*. University of California Press, Berkeley, 1999.
- Wipszycka, E., "Resources and economic activities of the Egyptian monastic communities (4th–8th century)", *The Journal of Juristic Papyrology*, vol. xli, 2011.
- Wipszycka, E., *L'industrie textile dans l'Égypte romaine*, Wrocław, 1964.

خامساً: المراجع العربية:

- أحمد عيسى، ألقاب ووظائف الأقباط فى مصر الإسلامية، العدد السابع، مجلة كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادى، ١٩٩٧م.
- أشعياء ميخائيل بباوي، حياة الشركة الباخومية، ثلاثة أجزاء، دير القديس باخوميوس، القاهرة، 1985.
- ايريس حبيب المصرى، قصة الكنيسة القبطية، ج1، مكتبة كنيسة مارجرجس باسبورتنج بالاسكندرية، 2003م.
- إيفيلين هوايت، تاريخ الرهبنة القبطية في الصحراء الغربية مع دراسة للمعالم الأثرية المعمارية لأديرة وادي النطرون منذ القرن الرابع الميلادي إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي. تعريب بولا البراموسى، أبناء الأنبا موسى الأسود، ج 2، ط 1، 1989م.
- تادرس يعقوب ملطي، الخط الاجتماعي عند آباء الكنيسة الأولى، كنيسة الشهيد مارجرجس باسبورتنج، 2005م.
- جون لوريمر، تاريخ الكنيسة، ترجمة فهيم عزيز، ج 2، القاهرة: دار الثقافة، 1985.
- حكيم أمين، دراسات فى تاريخ الرهبنة والديرية المصرية – مع دراسة مقارنة لرهبنة وادي النطرون حتى الفتح العربي، القاهرة، 1963م.
- رأفت عبد الحميد، الفكر المصري في العصر المسيحي، القاهرة: الهيئة المصـــريـــة العامة للكتاب، 1999م.

- رأفت عبد الحميد، طارق منصور، مصر في العصر البيزنطي 284- 641م، القاهرة: دار مصر العربية، ط 3، 2003م.
- رؤوف حبيب، تاريخ الرهبنة والديرية فى مصر وآثارهما الإنسانية على العالم، القاهرة: مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية، 2000م.
- زبيدة محمد عطا، الحياة الاقتصادية في مصر البيزنطية، القاهرة: دار الأمين للنشر والتوزيع، 1994م.
- عزيز سوريال عطية، نشأة الرهبنة المسيحية في مصر وقوانين القديس باخوميوس، رسالة مارمينا الثالثة، جمعية مارمينا العجائبي للدراسات القبطية، الإسكندرية، 1948م.
- غريغوريوس، الرهبنة القبطية وأشهر رجالها، القاهرة: شركة الطباعة المصرية، ٢٠٠٣م.
- قاموس الكتاب المقدس، تأليف: نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، هيئة التحرير بإشراف: بطرس عبد الملك، الطبعة الثانية، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، القاهرة: دار الثقافة المسيحية، 1995م.
- كميل عزيز صليب، "أمون أب رهبان جبل نيتريا"، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، مج 60، ع 22، 2010م.
- .....، العناية بالأطفال بين الأديرة الباخومية والباسيلية: دراسة مقارنة، مجلة كلية الآداب بقنا، مج 18، ع 29، 2009م.
- ليلى عبد الجواد إسماعيل، تاريخ مصر وحضارتها في الحقبة البيزنطية – القبطية، دار الثقافة العربية، 2007م.
- .....، القديس شنودة الاخميني الأتريبي ودوره في تاريخ مصر في العصر البيزنطي (333 – 451م)، نشرة مركز الدراسات البردية، المجلد ٢٠، العدد ١، ٢٠٠٣م.
- متى المسكين، القديس أنطونيوس ناسك إنجيلي، دار القديس أنبا مقار، وادي النطرون، ط 3، 1985م.
- .....، الرهبنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار، دار القديس أنبا مقار، وادي النطرون، ط 3، 1995م.
- محمد عثمان عبد الجليل، "الرهبنة النسائية في مصر البيزنطية من القرن الرابع حتى السابع الميلادي"، مجلة كلية الآداب بقنا، مصر، مج 9، ع 10، ١٩٩٧م.

- ملاك فكري توفيق يوسف، النشاط الاقتصادي للكنائس والأديرة في مصر في العصر الروماني المتأخر، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بنها، 2012م.
- منير شكري، الرهبنة القبطية وآبائها، ضمن قراءات في تاريخ الكنيسة، رسالة مارمينا الرابعة عشرة، الإسكندرية، 1993م.
- نبيه كامل داود، وسامح شفيق، وعادل فخري، تاريخ المسيحية والرهبنة في ابروشيتي سوهاج وأخميم، مؤسسة القديس مرقس لدراسات التاريخ القبطي، ط1، 2006م.
- ولاء مختار عبدالعزيز، رهبنة العذارى في مصر: نسك ورهبنة العذارى في مصر حتى القرن السابع الميلادي، مراجعة صموئيل قزمان معوض، مدرسة الإسكندرية، ط1، 2022م.
- يوسف حبيب، القديس أنبا موسى الأسود القس، مكتبة مدارس الأحد، كنيسة السيد العذراء بمحرم بك، ب. ت.